البناء الدرامي لشخصية "السيد أحمد عبد الجواد" (سي السيد) في رواية بين القصرين لنجيب محفوظ

الباحث

د/ فرج عمر علي فرج

(أستاذ المسرح والدراما المساعد بكلية الآداب جامعة بني سويف)

ملخص البحث

مشكلة البحث: تتبلور مشكلة في التساؤل الرئيس: **كيف بنى نجيب محفوظ شخصية "السيد أحمد عبد الجواد" في روايته "بين القصرين"؟.**

أهمية البحث: شخصية السيد أحمد عبد الجواد (سي السيد) نالت شهرة واسعة في العالم أجمع؛ لذلك فهي شخصية جديرة بالبحث والدراسة للوقوف على مقومات هذه الشخصة ومعرفة الأسباب التي جعلتها تنال هذه الشهرة الواسعة.

هدف البحث: التعرف على كيفية البناء الدرامي لشخصية السيد أحمد عبد الجواد في رواية بين القصرين.

منهج البحث: المنهج الوصفي.

عينة البحث: شخصية "السيد أحمد" في رواية بين القصرين.

نتائج البحث:

- نجح نجيب محفوظ أن يبني شخصية السيد أحمد عبد الجواد بناءًا دراميًا محكمًا.
- شخصية السيد هي الشخصية المحورية التي صنعت أحداث رواية بين القصرين.
- لعب العاملان "المادي" و"الاجتماعي" دوران كبيران في البناء الدرامي لشخصية السيد أحمد.
- جمعت حياة "السيد أحمد" شتى المتناقضات التي تراوح بين العبادة والفساد.
- اتسمت شخصية السيد أحمد بالغيرة الشديدة التي تخطت حدود المألوف.
- رغم المعاملة الصارمة للسيد لأبنائه إلا أنهم كانوا يحترمونه ويحبونه حباً شديداً.
- لا يؤمن السيد أحمد بحرية المرأة، ولا بمساواتها بالرجل.
- يرى السيد أحمد أن للرجل كل الحقوق، ولا يحق للمرأة أن تحاسبه على أي فعل يفعله.
- سلوك السيد أحمد في بيته ومع أسرته اتسم بالوقار، الجدية، الحزم، الصرامة، التزمت، التجهم الدائم. أما في خارج بيته فسلوكه مختلف تمامًا عن سلوكه في داخل بيته.
- بالرغم من أن السيد أحمد أباح لنفسه ممارسة الفحشاء مع بائعات الهوى، إلا أنه كان يحرص كل الحرص على تربية أبنائه على الفضيلة والعفة.

الكلمات المفتاحية: البناء الدرامي ، نجيب محفوظ ، بين القصرين، سي السيد

The Dramatic Construction of the Character of “Alsayid Ahmad Abd algawad” (Si alsayid) in Naguib Mahfouz's Novel “Bayn al-Qasrayn”

Researcher

Dr. Farag Omar Ali Farag
(Assistant Professor of Theater and Drama, Faculty of Arts, Beni Suef University)

summary

Research problem: How did Naguib Mahfouz build the character of "Al sayid Ahmed Abd AlGawad" in his novel “Bayn al-Qasrayn”?
The importance of the research: the character of "Al sayid Ahmed Abd AlGawad" (Si alsayid) gained wide fame in the whole world. Therefore, she is a character worthy of research and study in order to find out the elements of this character and to find out the reasons that made her gain such wide fame.
Research objective: To identify how the dramatic construction of the character of "Al sayid Ahmed Abd AlGawad" in his novel “Bayn al-Qasrayn”?

Research method: descriptive method.
Research sample: the character of "Sayyid Ahmed" in the novel Bayn al-Qasrayn.
Research results:
- Naguib Mahfouz succeeded in building the character of "Al sayid Ahmed Abd AlGawad" in a dramatic and tight manner.
- The character of Al-Sayyid is the central figure who created the events of Bayn al-Qasrayn.
- The physical configuration and social formation played a major role in the dramatic in building the character of "Al sayid Ahmed.
- The life of "Sayyid Ahmed" collected various contradictions that ranged between worship and corruption.
- The character of Al-Sayyid was characterized by extreme jealousy that went beyond the usual limits.
- Despite the strict treatment of the master towards his Sons, they respected him and loved him with great love.

مقدمة:

القارئ لأدب نجيب محفوظ لا يستمتع فقط بالأفكار الجديدة التي يقدمها في أدبه ولا بالأسلوب الجميل الذي يسرد به هذه الأفكار، بل يستمتع أكثر وهو يجد نفسه يغوص داخل النفس البشرية لكل شخصيات العمل الأدبي، فنجيب محفوظ يسبر أغوار شخصياته الروائية ويشرح كل مكنوناتها وكأنه خبير ببواطن النفس البشرية. وقد لاحظ الباحث أثناء تحليله لأدب نجيب محفوظ أنه يرسم شخصياته رسمًا دقيقًا، لا يترك شاردة ولا واردة داخل النفس البشرية إلا وأحصاها، ويبررها بمنطق يُحسد عليه، ويجيد صناعة حبكتها إجادة تامة كأنه خبير في علم النفس. ومن بين الشخصيات التي استهوت الباحث لدراستها هي شخصية "السيد أحمد عبد الجواد" الشهير بـ "سي السيد"؛ لأن تصرفاتها غير معقولة من وجهة نظر الكثير من الناس؛ حيث يرى البعض أن نجيب محفوظ بنى هذه الشخصية بناءًا غير محكم؛ لذا استهوى الباحث أن يبحث ويحلل البناء الدرامي لهذه الشخصية حتى يقف على حقيقة بنائها الدرامي.

مشكلة البحث:

إن "الفن – من حيث هو ظاهرة اجتماعية – لا يقل أهمية عن العلم أو عن اللغة في تحقيق التكامل النفسي الاجتماعي"[١]. ومن بين الفنون التي لا تقل أهمية عن العلم هو "أدب نجيب محفوظ الروائي"؛ حيث استطاع محفوظ بفنه الروائي أن يسبر أغوار النفس البشرية، وأن يشرح أحوال المجتمع الذي يكتب عنه، وقد أثارت بعض شخصيات رواياته جدلًا كبيرًا؛ ومن بين هذه الشخصيات شخصية "السيد أحمد عبد الجواد"، بطل ثلاثيته الشهيرة، حيث ثار حولها جدلًا واسعًا في الأوساط الأدبية وغير الأدبية؛ حتى صارت شخصية يُضرب بها المثل في التشدد والصرامة، وقد اختلفت حولها الأراء، فالبعض يرى أنها شخصية سوية، والبعض يرى أنها عكس ذلك، والبعض الآخر وقف حائرًا بين هذا وذاك، واشتهرت هذه الشخصية في المجتمع المصري والعربي باسم "سي السيد"؛ لأن زوجته "أمينة" كانت لا تخاطبه إلا وبدأت وأنهت عبارتها بكلمة "سي السيد"، احترامًا وتقديرًا له. ولما صارت هذه الشخصية مضرب الأمثال داخل المجتمع منذ كتابة الرواية وحتى الآن، ولما كان هناك من يرى أنها شخصية غير طبيعية ومبالغ في رسمها؛ فإن الباحث ارتأى أن يبحث بالنقد والتحليل في البناء الدرامي لهذه الشخصية؛ لذا تتبلور مشكلة هذا البحث في التساؤل الرئيس التالي: **كيف بنى نجيب محفوظ شخصية "السيد أحمد عبد الجواد" في روايته "بين القصرين"؟.**

---

[١] – مصطفى سويف: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، ، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥١م، ص: (ي).

تساؤلات البحث:

١- ما مقومات شخصية السيد أحمد عبد الجواد كما ظهرت في رواية بين القصرين؟؟.
٢- كيف كانت العلاقة بين السيد أحمد عبد الجواد وأبنائه في رواية "بين القصرين؟.
٣- ما طبيعة العلاقة بين السيد أحمد وزوجته الثانية "أمينة" في رواية بين القصرين؟
٤- هل أثَّر البناء الدرامي لشخصية هنية – زوجة السيد الأولى – على بناء شخصية السيد؟.
٥- ما رؤية السيد أحمد عبد الجواد للمرأة كما عكستها رواية بين القصرين؟.
٦- ما طبيعة العلاقة بين السيد أحمد عبد الجواد مع سائر الناس خارج نطاق أسرته؟.
٧- هل كان السيد أحمد عبد الجواد لا يحب زوجته "أمينة" حتى يعاملها مثل هذه المعاملة التي تشبه معاملة الجواري والعبيد؟.
٨- ما العوامل التي ساعدت في بناء شخصية السيد أحمد عبد الجواد في رواية "بين القصرين"؟.
٩- ما خصائص شخصية السيد أحمد عبد الجواد كما عكستها رواية "بين القصرين"؟.
١٠- هل شخصية السيد أحمد عبد الجواد في رواية بين القصرين شخصية شاذة عن المجتمع؟.
١١- كيف بنى نجيب محفوظ حبكته الدرامية لرواية بين القصرين.
١٢- هل كان "السيد أحمد عبد الجواد" شخصين منفصلين في شخصية واحدة؟!.

أهمية البحث:

١- شخصية السيد أحمد عبد الجواد (سي السيد) نالت شهرة واسعة في العالم أجمع؛ لذلك فهي شخصية جديرة بالبحث والدراسة للوقوف على مقومات هذه الشخصة ومعرفة الأسباب التي جعلتها تنال هذه الشهرة الواسعة.
٢- شخصية "سي السيد" وجهت لها في العصر الحالي بعض الانتقادات بسبب اختلاف سلوكها عن سلوك شخصية الرجل في العصر الحالي.
٣- رصد مقومات شخصية "السيد أحمد" الدرامية للوقوف على الدوافع والمعطيات التي أوصلتها للدرجة التي ظهرت عليها في رواية "بين الفصرين"؟.
٤- نجيب محفوظ حائز على جائزة نوبل في الآداب؛ مما يجعل أدبه جدير بالفحص والدرس.

أهداف البحث:

١- التعرف على كيفية البناء الدرامي لشخصية السيد أحمد عبد الجواد في رواية بين القصرين.

٢- التعرف على سمات شخصية "السيد أحمد عبد الجواد في رواية "بين القصرين".

٣- التعرف على سمات شخصية "أمينة" زوجة السيد أحمد عبد الجواد في رواية بين القصرين.

٤- التعرف على طبيعة العلاقة بين السيد أحمد عبد الجواد وأفراد اسرته في رواية بين القصرين.

٥- التعرف على طبيعة العلاقة بين السيد وسائر الناس خارج نطاق أسرته في رواية بين القصرين.

٦- التعرف على رؤية السيد أحمد عبد الجواد للمرأة كما عكستها رواية بين القصرين؟.

٧- التعرف على أسباب انفصال السيد أحمد عن زوجته الأولى في رواية بين القصرين.

٨- التعرف على الحس الوطني لدى السيد أحمد عبد الجواد في رواية بين القصرين.

منهج البحث:

المنهج الوصفي في تحليل المضمون. وهو "استقصاء ينصب على ظاهرة من الظواهر كما هي قائمة في الحاضر، بقصد تشخيصها وكشف جوانبها، وتحديد العلاقات بين عناصرها وبينها وبين ظواهر أخرى، وهو أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف ظاهرة أو مشكلة محددة"[٢].

عينة البحث وسبب اختيارها: شخصية "السيد أحمد عبد الجواد" في رواية بين القصرين لنجيب محفوظ. وقد اختار الباحث هذه الشخصية لشهرتها الواسعة في المجتمع العربي بصفة عامة والمجتمع المصري بصفة خاصة، كما أنها شخصية أثارت- وما زالت تثير- جدلًا واسعًا بين الناس.

مصطلحات البحث:

البناء الدرامي: هو "ذلك الجسم النصي الدرامي المتكامل في حد ذاته، والذي يتألف من عناصر بانية، مرتبة ترتيبًا خاصًا، وطبقًا لقواعد خاصة، ومزاج معين، كي يحدث تأثيرًا معينًا

[٢]- عبد الرحمن سيد سليمان: مناهج البحث، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠١٤م، ص١٣١.

في الجمهور"[٣]. كما يُعرف بأنه "مجموعة من الوسائل الواضحة التي يستخدمها الدرامي لربط أجزاء المسرحية ببعضها البعض، وبالكل العام"[٤]

الشخصية: "الشخصية عبارة عن جملة من الصفات الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والخلقية التي تميز الشخص عن غيره من الناس تميزًا خاصًا وواضحًا"[٥]. كما تُعرف بأنها "تنظيمًا داخل الفرد له قدر من الثبات والدوام لمجموعة من الوظائف أو السمات أو الأجهزة الإدراكية النزوعية والانفعالية والمعرفية والدافعية والجسمية التى تحدد طريقة الفرد المتميزة فى الإستجابة للمواقف وأسلوبه الخاص فى التكيف مع البيئة وقد ينتج عن هذا الأسلوب توافق أو سوء توافق"[٦].

الشخصية الدرامية: "الشخصية الدرامية هي محور تحريك الصراع كما تكشف عن دلالات الحدث المسرحي؛ لأنها هي التي تعبر عن تلك الدلالات المراد ايصالها للمتلقي، فلا يمكن تصور أي عمل درامي بدون شخصيات فاعلة ومتفاعلة مع الحدث الدرامي، وعن طريق الأحداث المتصاعدة تتضح معالم الشخصية شيئًا فشيئًا من خلال دورها في العمل الدرامي، وتطوير الحدث وتصاعد الصراع بين الشخصيات، فالحدث والصراع هما اللذان يكشفان عن طبيعة الشخصية"[٧].

نجيب محفوظ: اسمه بالكامل: نجيب محفوظ عبد العزيز إبراهيم أحمد الباشا، واسم نجيب محفوظ هو اسم مركب؛ فوالده هو عبد العزيز إبراهيم، وقد سماه والده بهذا الاسم المركب اعتزازًا للطبيب الذي أشرف على ولادته وكان يدعى نجيب محفوظ. وُلد نجيب محفوظ في حي الجمالية بالقاهرة في ١١ ديسمبر ١٩١١م، وتوفى في ٣٠ أغسطس عام ٢٠٠٦م. اشتهر بالكتابة عن الحارة المصرية في قصصه ورواياته، وكتب – إلى جانب القصة والرواية – السيناريو والحوار للسينما المصرية، كما كتب عدة مسرحيات، وعمل بالصحافة والترجمة. ومن أبرز مؤلفاته : الثلاثية، وملحمة الحرافيش، وأولاد حارتنا. وقد حصل نجيب محفوظ على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨م، ويُعد أول أديب عربي يحصل على هذه الجائزة العالمية الكبيرة، وقد حصل على قلادة النيل العظمى عام ١٩٨٨م. كما يُعد أكثر أديب عربي تم تحويل أعماله

---

[٣]– إبراهيم حمادة: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، القاهرة، دار المعارف،١٩٨٥، رقم المصطلح ٨٠، ص٦٥.

[٤]– فؤاد الصالحي: علم المسرحية وفن كتابتها، الأردن، دار الكندي،٢٠٠١، ص٦٨.

[٥]– عبد الرحمن الوافي: مدخل إلى علم النفس، القاهرة، دار هومة، ٢٠٠٧م، ص١٨١.

[٦] – أحمد عبد الخالق: استخبارلت الشخصية ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩، ص18 .

[٧] – نصر محمود عباس: فن الدراما المسرحية.. رؤية تاريخية نقدية، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١١، ص٥١.

الأدبية إلى أعمال سينمائية وتليفزيونية. وتميز محفوظ بأن جميع أحداث رواياتi تدور في الحارة المصرية، ويصنف أدبه بالواقعية.[٨]

دلالة عنوان رواية "بين القصرين":

للعنوان دلالة كبرى "فهو الذى يشد انتباه القارئ وهو الذى يقود فكره حين يبدأ القراءة، سواء وضعه المؤلف قبل بدء الكتابة أو بعد الفراغ منها[٩]. وقد سميت رواية "بين القصرين بهذا الاسم لأن معظم أحداثها وقعت في شارع من شوارع القاهرة الشعبية القديمة يسمى "بين القصرين"، كما أن منزل "السيد أحمد عبد الجواد" يقع في هذا الشارع.

نبذة مختصرة عن رواية "بين القصرين":

كتب نجيب محفوظ رواية بين القصرين سنة ١٩٥٦م ، **و**تقع هذه الرواية في حوالي ٥٨٨ صفحة من القطع المتوسط، وهي بذلك تُعد رواية كبيرة الحجم، وهي الجزء الأول من ثلاثية نجيب محفوظ الشهيرة (بين القصرين، السكرية، قصر الشوق). وتدور أحداثها في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين، وتقع معظم أحداثها في حي شعبي من أحياء القاهرة، وهو حي الحسين، وهذا ما يُطلق عليه المكان في الرواية؛ حيث أن "المكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث"[١٠]. وتسرد الرواية حياة أسرة من الطبقة المتوسطة تتكون من سبعة أفراد، يقودها أب متزمت ذو شخصية قوية (السيد أحمد عبد الجواد)، وأم مسالمة مستكينة (أمينة)، وأربعة أبناء أشقاء، هم بالترتيب: فهمي، خديجة، عائشة، وكمال، أما الفرد السابع للأسرة فهو "ياسين" الابن الأكبر للسيد أحمد عبد الجواد من زوجته الأولى. ويحكم السيد أحمد عبد الجواد –"سي السيد" كما تناديه زوجته أمينة– أسرته بكل صرامة وحزم وتزمت زائد عن الحد؛ حيث لا يسمح لزوجته أو لابنتيه بالخروج من البيت قط، ولا يسمح لأي فرد من أفراد أسرته أن يعارضه في شيء أو يناقشه في أمر، وعلى جميع أفراد أسرته الرضوخ لأوامره وتعليماته مهما كانت قاسية أو غير مبررة. أما سلوك السيد أحمد خارج بيته فعلى النقيض تمامًا من سلوكه داخل بيته؛ حيث إن شخصيته خارج بيته شخصية مرحة، لينة، مبتسمة، متواضعة، محبوبة من الجميع. وقد استنتج الباحث من خلال قراءته النقدية للرواية أن تميزت بحبكة روائية جيدة؛ فقد جاءت أحداثها

---

[8] - https://ar.wikipedia.org/wiki

[٩] – أحمد عبدالعزيز: نحو نظرية جديدة للأدب المقارن، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٢، ص ٢٠٧ .

[١٠] – سيزا قاسم: بناء الرواية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص٧٦.

مترابطة وفي تسلسل منطقي؛ حيث أن الحبكة هي "التي تترابط فيها أحداث القصة بتسلسل منطقي"[١١]. والحبكة هي جوهر الدراما وروحها "وهي في منزلة الروح في الجسم الحي"[١٢].

البناء الدرامي لشخصية السيد أحمد عبد الجواد (سي السيد) في رواية بين القصرين:

البناء الدرامى "ليس مصطلحًا عامًا فهو ليس تركيبة معينة تصلح لكل زمان ومكان، ففي الفن ليس هناك ما هو عام وانما هناك دائمًا ودائمًا أبدًا ما هو مخصص[١٣]؛ لذلك فنحن عندما نتكلم عن البناء الدرامى لشخصية ما انما نعنى البناء الدرامى لهذه الشخصية فقط، فلكل شخصية بنائها الدرامي الخاص بها؛ وشخصية "السيد أحمد عبد الجواد" هي الشخصية المحورية في رواية "بين القصرين، والشخصية المحورية هي: "الشخصية التي يتمحور حولها قصة النص الدرامي، وتكتسب أهمية كبيرة لدى المؤلف كونها الشخصية التي تتحمل مسؤولية كبيرة داخل سياق النص الدرامي كما أنها تواجه أكبر قدر من الاختبارات والقرارات التي تصنع الأحداث ويدور الفعل حولها وعادة ما تكون الشخصية المحورية فردًا واحدًا"[١٤]. وعليه فإن هذا البحث مخصص للتعرف على البنية الدرامية التي بناها نجيب محفوظ لشخصية السيد أحمد عبد الجواد في رواية بين القصرين.

- **المقومات الثلاث لشخصية السيد أحمد عبد الجواد:**

بداية يوضح الباحث أن "أبعاد الشخصية ليست منفصلة عن بعض، بل هي في الغالب الأعم متداخلة ومؤثرة بعضها في بعض"[١٥]، وبما أن أي شخصية تتكون من ثلاثة أبعاد رئيسة، وهم: المادي، والاجتماعي، والنفسي؛ فإن الباحث سيبدأ بتحليل الأبعاد الثلاث لشخصية السيد أحمد عبد الجواد في رواية بين القصرين.

أولًا: العامل المادي (الفسيولوجي) لشخصية "سي السيد":

جعل نجيب محفوظ "السيد أحمد عبد الجواد" يبلغ من العمر خمسة وأربعين فقط، حتى يجمع بين رغبات الشباب الجامحة وبين الحكمة والرزانة، كما جعله يتمتع بحيوية فياضة مشبوبة لا يتأثر بها إلا الشاب اليافع؛ حتى يُقنع المتلقي بسلوك هذه الشخصية المتناقض؛ فهو رجل يعشق متع الحياة؛ حيث يمارس البغاء مع الغانيات ويحتسي الخمر، وفي نفس الوقت يقيم

---

[١١] – فرحان بلبل: النص المسرحي.. الكلمة والفعل، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٣، ص٤٥.

[١٢] – أرسطو: فن الشعر، ترجمة : إبراهيم خمادة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت ، ص٩٨.

[١٣] – رشاد رشدي: فن كتابة المسرحية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، ص٧٢.

[١٤] – نشأت مارك صليتوا: الشخصية في النص المسرحي، العراق، رسالة أكاديمية، مدينة نينوي، ١٩٩٠، ص٢١٩.

[١٥] – محمد مندور: الأدب وفنونه.القاهرة، نهضة مصر للنشر والطباعة والتوزيع، ٢٠٠٦،ط٥، ص٢٥.

كل الشعائر الدينية بإخلاص وإيمان شديدين. كما جعل محفوظ بطل روايته "بين القصرين" يتمتع بقامة مديدة، وجسد جميل متناسق، ووجه ناضر وجميل؛ ويصفه الراوي عندما عاد إلى منزله في آخر الليل – كعادته – قائلًا: "**طويل القامة عريض المنكبين ضخم الجسم ذا كرش كبيرة مكتنزة اشتملت عليها جميعًا جبة وقفطان في أناقة وبحبحة دلَّتا على رفاهية ذوق وسخاء، ولم يكن شعره الأسود المنبسط من مفرقه على صفحتي رأسه في عناية بالغة، وخاتمه ذو الفص الماسي الكبير، وساعته الذهبية، إلا لتؤكد رفاهة ذوقه وسخاءه. أما وجهه فمستطيل الهيئة مكتنز الأديم قوي التعبير واضح الملامح، يدل في جملته على بروز الشخصية والجمال بعينيه الزرقاوين الواسعتين، وأنفه الكبير الأشم المتناسق على كبره مع بسطة الوجه، وفمه الواسع بشفتيه الممتلئتين، وشاربه الفاحم الغليظ المفتول طرفاه بدقة لا مزيد عليها**"[١٦]. ولكن هذا الجسد الجميل لا يخلو من العيوب؛ حيث بدا أول عيب فيه عندما تم تعرية القدم؛ حيث ظهر تآكل في خنصر القدم نتيجة توالي الكشط بالموسى في موضع كاللو مزمن. وهذا العيب يُظهر جانب من جوانب مقومات شخصية السيد عبد الجواد المادية، وهو قسوة السيد أحمد عبد الجواد في التعامل حتى مع جسده؛ فهو يقسو على جسده بكشط خنصره بالموسى كلما تورم خنصره، وكان من الأفضل والأرحم أن يذهب إلى الطبيب ليعالجه بشكل أفضل. وقد أثَّرَ العامل المادي في سلوك شخصية "سي السيد"؛ حيث ساعده وجهه الجميل، وبنيانه القوي، وتناسق جسده في زيادة رهبة أفراد أسرته منه، كما ساعد هذا البعد في حب الناس له وخاصة النساء، كما ساعدته صحته الخالية من الأمراض في فحولته كرجل، مما جعله يعشق النساء والسهر، ولا يؤثر في جسده السليم القوي خمر أو سهر أو نساء، كما ساعدته هذه القوة الجسدية وصحته السليمة في العمل المتواصل، واستيقاظه مبكرًا رغم سهره الدائم مع الغانيات كل ليلة، كما ساعدته رجاحة عقله وذكائة المتقد في تحقيق أرباح كبيرة من تجارته، جعلته يحقق حياة رغدة وكريمة لجميع أفراد أسرته، الأمر الذي ساعده في فرض نفوذه وشخصيته على جميع أفراد أسرته.

وقد أضاف نجيب محفوظ على خصائص شخصية "سي السيد" المادية بعض السمات التي تتضاعف من هيبته، وتزيد من جمال صورته أمام الناس، وخاصة أفراد أسرته؛ لأن "نظرة الإنسان للحياة كثيرًا ما تعتمد على البعد الفسيولوجي (المادي أو العضوي) وتؤثر تأثيرًا كبيرًا

[١٦] – نجيب محفوظ: بين القصرين، القاهرة، دار الشروق الأولى، ط١٥، ٢٠١٩م، ص ص١٣-١٤.

على أسلوب تفكير الشخص وممارسته للحياة"[١٧]؛ حيث جعله يحرص على ارتداء أفضل وأغلى أنواع الملابس التي تزيده جمالًا، كما جعله يحرص أيضًا أن يتعطر بأفخم أنواع العطور كل صباح، ذلك العطر الذي كان يشعر به كل أفراد أسرته وهو مازال في حجرته قبل أن يغادرها خارجًا إلى عمله في الصباح؛ "**ذلك العرف المقطر من شتى الأزهار يعرفه أهل البيت جميعًا، وإذا تنشقه أحدهم تمثل لعينيه السيد بوجهه الوقور الحازم، فينبعث في قلبه – مع الحب –الإجلال والخوف**"[١٨]. كما أضاف محفوظ سمة الجلال والوقار إلى جانب سمة الجمال لشخصية "سي السيد"؛ حتى يزيد من قوة شخصية الرجل، واحترام الجميع له، وخاصة أهل بيته؛ فهو عندما يخرج من حجرته يحرص على جمال خطوته ووقارها؛ حيث "يسير في تؤدة ووقار يحف به الجلال والجمال رافعًا يديه بالتحية بين حين وآخر وقد وقف له عم حسنين الحلاق والحاج درويش بائع الفول والفولي اللبان وبيومي الشربتلي، فأتبعنه أعينًا مترعة بالحب والزهو"[١٩].

وقد لعبت الوراثة دورًا في تكوين شخصية "سي السيد"؛ حيث كان أبوه يُحب النساء؛ فتزوج عدة نساء، وهذا ما جاء على لسان أم أمينة عندما قالت لابنتها أمينة محذرة إياها بألا تُغضبه خوفًا من أن يتزوج عليها مثل والده؛ وكانت تقول لها: "**كان أبوه مزواجًا، فاحمدي ربنا على أنه أبقاك زوجة وحيدة**"[٢٠]. كما ورثَّ "السيد أحمد" من أبيه "عبد الجواد" حب العمل والإخلاص فيه؛ حيث نجده "**يراجع حسابات اليوم السابق بمثابرة ورثها عن أبيه وحافظ عليها بحيويته الموفورة**"[٢١]. كما ورث "السيد أحمد" عشق النساء من أبيه، ولكن نجيب محفوظ جعل "عبد الجواد"، والد بطل روايته، رجلًا مزواجًا، يتزوج كثيرًا حتى يُشبع شهواته؛ لدرجة أنه تزوج من عشرين امرأة، أما "السيد أحمد" فقد تزوج من امرأتين فقط، ولكنه كان يعاشر الغانيات في الحرام؛ حيث رفض أن يسلك مسلك أبيه في تكرار الزواج؛ لأنه رأى أبيه يبدد أمواله على الزواج؛ فأبى أن يكرر خطأ أبيه. والسيد أحمد لا يرى في ممارسة الجنس مع الغانيات أي

---

[١٧] – عبد المجيد شكري: فنون المسرح والاتصال الإعلامي، القاهرة، دار الفكر العربي للطبع والنشر، ٢٠١١م، ص١٧٨.

[١٨] – نجيب محفوظ: بين القصرين، القاهرة، دار الشروق الأولى، ط١٥، ٢٠١٩م ، ص٢٩.

[١٩] – المصدر السابق، ص٣٠.

[٢٠] – المصدر السابق، ص١١.

[٢١] – المصدر السابق، ص٤٥.

محرمات؛ لأنه يعدهن مثل الجواري، أما الحرام هو التعدي على الأعراض؛ لذا نراه يجادل الشيخ متولي في هذا الصدد:

- **عذر ضعيف لا ينتحله إلا الضعيف، والفسق لعنة ولو يكن بفاجرة، كان أبوك رحمه الله، مولعًا بالنساء فتزوج عشرين مرة فلماذا لا تنتهج سبيله وتتنكب طريق المعاصي؟!.**

فضحك السيد ضحكة عالية وقال:

- **أأنت ولي من أولياء الله أم مأذون شرعي؟! كان أبي شبه عقيم فأكثر من التزوج، وبالرغم من أنه لم ينجب سواي إلا أن عقاره تبدد بيني وبين زوجاته الأربع مات عنهن، إلى ما ضاع على النفقات الشرعية في حياته، أما أنا فأب لثلاثة ذكور وأنثيين، وما يجوز لي أن أنزلق إلى الإكثار من الزوجات فأبدد ما يسَّر الله علينا من رزق، ولا تنس يا شيخ متولي أن غواني اليوم هن جواري الأمس واللاتي أحلهن الله بالبيع والشراء، والله من قبل ومن بعد غفور رحيم.**[٢٢]

ويرى الباحث أن نجيب محفوظ مؤمن بدور الوراثة في تكوين سمات شخصيات روايته، وهذا واضح من حديث "السيد أحمد" عن نفسه وعن ابنه ياسين؛ وذلك على لسان الراوي عندما سرد قائلًا: **"ثم عاد إلى ياسين سريعًا فراح يفكر – بباطن مبتسم – في الطبيعة الواحدة التي تجمع بينهما، تلك الطبيعة الموروثة عن الجد بلا ريب، ومن يدري لعلها تضطرم الآن في صدر فهمي تحت قناع التهذيب والاستقامة"**[٢٣]. كما وضَّح نجيب محفوظ، أيضًا، دور الوراثة في تكوين الشخصية، وذلك عندما جعل الراوي يسرد ما يدور في ذهن السيد أحمد – وهو يتذكر سلوك ابنه ياسين الجنسي الشاذ الذي لا يتواني عن معاشرة أقبح أنواع النساء، مثل أم حنفي الخادمة، ومثل "نور" الخادمة الدميمة شديدة السواد – قائلًا: **"يا له من حيوان، إنه بريء من هذا الشذوذ بيد أنه ليس في حاجة أن يتساءل طويلًا عن مصدره فإنه لم ينس بعد ذلك المرأة التي أنجبت ياسين فأودعته طبيعتها المولعة بالقذارة، إنه مسئول عن قوة شهوته أما هي فمسئولة عن هذه الشهوة النزاعة إلى الحضيض"**[٢٤].

---

[٢٢] – المصدر السابق، ص ص٥٠–٥١.

[٢٣] – المصدر السابق، ص٤٥٦.

[٢٤] – المصدر السابق، ص ص ٤٥٧ – ٤٥٨.

كما كان تواضع "السيد أحمد" فطرة فطره الله عليها، هذا التواضع الذي جعله محبوبًا بين الناس، لأنه نبع من فطرة تسيل بشاشة وإخلاصًا وحبًا، "**فاتجهت طبيعته بوحي من غريزته الظامئة للحب إلى الإخلاص والوفاء والتواضع**"[٢٥]. كما كان يتفاخر السيد أحمد بأنه ورث الفحولة من أبيه وأجداده، حيث كان يردد للنساء الغانيات قائلًا: "**إني من صلب رجال يتزوجون في الستين**"[٢٦]. حتى إيمان "السيد أحمد" وحرصة على أداء الفروض "**كان إيمانًا موروثًا لا دخل للاجتهاد فيه**"[٢٧]. وليس هذا فقط كل ما ورثه عن أبيه وأهله، بل ورث أيضًا الغيرة الشديدة على حريمه، فهو يغار على كل ما يتصل به من حريم أهله حتى لو كانت المرأة هي طليقته، فعندما أبلغه ابنه ياسين أن أمه قد تزوجت من رجل آخر انتابته الغيرة الشديدة رغم أنه أظهر لابنه غير ذلك، حيث قال له : "الزواج علاقة مشروعة .. شريفة"، "**قال السيد هذا بلسانه فحسب – إذ كان يناقض كل المناقضة ما طبع عليه من غيرة متطرفة فيما يتصل بالآداب المطلقة للأسرة**"[٢٨].

لقد كان السيد أحمد بارًا مطيعًا لأبيه؛ لذلك فإن أبنائه حباهم الله نفس البر ونفس الطاعة له، فلم يعصي السيد أحمد أمرًا لأبيه عبد الجواد ولم يرفض له طلبًا، ولم يعارضه في سلوك ما إلا مرة واحدة، وهي معارضة كان يراها الابن في مصلحة أبيه؛ وعن هذا الموضوع يقول السيد أحمد عبد الجواد: "**وقد بلغ بي الاعتزاز بالنفس أن عارضته في زواجه الأخير لكبره من ناحية وحداثة سن العروس من ناحية أخرى فلم يزد على أن قال لي "أتعارضني يا ثور .. وما دخلك في هذا الشأن؟ إني أقدر منك على إرضاء أي امرأة" فما تمالكت أن ضحكت وطيبت خاطره معتذر**"[٢٩].

ثانيًا: العامل الاجتماعي (السوسيولوجي) في بناء شخصية "سي السيد":

جعل نجيب محفوظ بطل روايته "بين القصرين" يتمتع بثراء كبير إلى حد ما؛ حتى يبسط نفوذه على من حوله وخاصة أسرته؛ لأن للمال سلطة كبيرة تقوي من شخصية وثقة صاحبه في

---

[٢٥] – المصدر السابق، ص٨٨.

[٢٦] – المصدر السابق، ص١١٢.

[٢٧] – المصدر السابق، ص ص٥٢–٥٣.

[٢٨] – المصدر السابق، ص١٢٧.

[٢٩] – المصدر السابق، ص٣٣٦.

نفسه؛ فالبطل في هذه الرواية تاجرًا كبيرًا له تجارة واسعة تدر عليه دخلًا يكفيه ويكفي أسرته ويكفي سهراته ونزواته واحتسائه للخمر، كما أنه يمتلك بيتًا كبيرًا يتكون من طابقين، يحتل أبنائه الطابق الأول منه، ويحتل هو وزوجته السيدة "أمينة" الطابق الثاني بالكامل، أما الدور الأرضي فخصص غرفه العديدة للخزين وطهو الطعام وغرفة للخادمة "أم حنفي"، وأمام هذا البيت مساحة فضاء لا باس بها تدل على رفاهية صاحبه. كما ساعد ثراء السيد عبد الجواد في تحكمه وسيطرته على زوجته؛ حيث كانت أمينة تعيش في رغد من العيش مقارنة بالحياة التي كانت تحياها أغلب النساء في عصرها، وكان من الصعب أن تُضحي بهذه الحياة من أجل وساوس شياطين أو بعض الأخبار السيئة التي قد تصل إلى أسماعها من هنا أو هناك. ولعل عدم وضوح وصدق هذه الأخبار هو الذي جعل أمينة تُعدها رجس من عمل الشيطان. كما أن عزل السيد أحمد عبد الجواد لزوجته أمينة عن العالم الخارجي ساعد كثيرًا في غموض الرؤية الصحيحة والكاملة لدى أمينة عن سلوك زوجها المشين.

والسيد أحمد عبد الجواد يتمتع بقدر لا بأس به من الثقافة التي اكتسبها ، لا من التعليم، حيث توقف فيه دون الابتدائية، ولكن من قراءة الصحف التي كان حريصًا على قراءتها، وتتبع أخبار البلاد والسياسة والحكم من خلالها، كما اكتسبها من مصادقة نخبة من الأعيان والموظفين والمحامين الذين أهله مخالطتهم – مخالطة الند للند – حضور بديهته ولطفه وظرفه ومنزلته كتاجر موفور الرزق؛ فاستجد لنفسه عقلية غير العقلية التجارية المحدودة ضاعف من اعتزازه بها ما حباه أولئك الممتازون من حب واحترام وتكريم، ولما قال له أحدهم مرة في صدق وإخلاص: **"لو أتيح لك يا سيد أحمد أن تدرس القانون لكنت محاميًا مفوهًا نادر المثال"**[٣٠]. الأمر الذي جعله يفاخر بنفسه بين أصدقائه كمحدث فائق البراعة. كما كان يتعمد أن يستعرض ثقافته ويتكلم في أمور السياسة والحكم مع زوجته "أمينة" حتى تزداد انبهارًا وتبجيلًا له ، وحتى يسمع دعواتها له التي يرتاح لها قلبه.

وقد اكتسب السيد أحمد احترام الآخر والتزام الآداب والتشدد في تقاليد العائلة من أبيه وأجداده، فكان لا يسمح أن ينكشف حريم أسرته على رجل من غير أفراد أسرته مهما كان شأنه ولا يسمح لهن بالخروج خارج البيت إلا للضرورة القصوى وبصحبته هو شخصيًا، ولكنه رغم تقاليده المتشددة هذه إلا أنه لم يكن يطعن فيما يرتضون لأنفسهم ولنسائهم بالخروج خارج بيوتهم

[٣٠] – المصدر السابق، ص٤٦.

أو يلقون التحية على الرجال، بل لم يكن يسيء الظن حتى ببعض الأعيان من أصدقائه الذين يصطحبون زوجاتهم وبناتهم في العربات للتنزه في الخلوات أو لارتياد الملاهي البريئة مكتفيًا في مثل هذه الحال بترديد قوله : **"لكم دينكم ولي دين"**[٣١]، أي أنه لا يفرض آرائه على الناس؛ ولكنه كان يحسن التمييز حقًا بين ما هو خير وما هو شر.

إن "الشخصية هي وسيلة من وسائل الكاتب لترجمة القصة أو الموضوع إلى الحركة"[٣٢]، وتتكون الشخصية – كما ذكر الباحث – من ثلاثة مقومات أساسية من بينها العامل الاجتماعي، وقد لعب العامل الاجتماعي دورًا كبيرًا في تكوين شخصية "السيد أحمد"، وخاصة تربية أبوه له، حيث كان أبوه شديد الصرامة والقسوة في تربيته وتأديبه؛ لذا نجد السيد أحمد متأثرًا بطريقة تربية أبوه له؛ حيث نجده انتهج نفس أسلوب أبيه في تربيته لأبنائه، وخاصة الذكور منهم. وفي حوار داخلي – "والحوار الداخلي يحدث بين الشخصية وذاتها، وهو تحليل للذات من خلال حوار الشخصية مع نفسها؛ لتعبر فيه الشخصية عن أدق أسرارها في حالة التشظي في الزمن"[٣٣] – يتحدث السيد أحمد عن أسلوب تربية أبوه له فيقول: **"كان أبي رحمة الله عليه يلتزم في تربيتي شدة تهون إلى جانبها شدتي مع أبنائي ولكنه سرعان ما غيرَّ من معاملته لي منذ أن دعاني إلى معاونته في الدكان، ثم استحالت معاملته صداقة أبوية منذ تزوجت أم ياسين"**[٣٤].

إن السيد أحمد عبد الجواد يعرف الأصول ويحترم العادات والتقاليد التي تربى عليها وتعلمها من أبيه ومن عائلته، فلا يطلب أن تُعامل بناته معاملة أفضل من معاملته لزوجته، فها هو يقول لزوجته عندما طلبت منه زيارة ابنتهما عائشة التي تزوجت حديثًا: **"اذهبي غدًا لزياتها..! ... فلن تريها بعد ذلك إلا إذا سمح لها زوجها بزيارتنا..!"**[٣٥]. إن حياة السيد أحمد لم تكن تستقيم إلا بزوجة مثل زوجته أمينة، لأنها ورثت طباع وعادات وتقاليد شبيهة بما ورثه زوجها من طباع وعادات وتقاليد كان من الصعب أن يحيد هو عنها، كما تربت في بيئة

---

[٣١] – المصدر السابق، ص٢٦٠.

[٣٢] – علي الراعي: فن المسرحية، القاهرة، سلسلة كتب للجميع، دار التحرير، ص٧٥.

[٣٣] – رضا بن صالح، وقيس الهمامي: المسرح العربي بين التجريب والتغريب.. قراءة في مسرح سعد الله ونوس، تونس، المغاربية للطبع والنشر، ٢٠٠٨، ص٣٦.

[٣٤] – نجيب محفوظ، مصدر سابق، ٣٣٦.

[٣٥] – المصدر السابق، ص٣٣٩.

اجتماعية تقترب من البيئة التي تربى فيها زوجها السيد احمد؛ لذلك رضخت له رضوخًا تامًا وعاشت معة عيشة راضية هنيئة. أما زوجته الأولى "هنية أم ياسين" فقد كانت بيئتها الاجتماعية تختلف عن بيئة السيد أحمد؛ لذلك انتهت الزيجة في أشهرها الأولى؛ لأن "هنية" كانت بيئتها وعاداتها وتقاليدها تختلف عن عادات وتقاليد البيئة الاجتماعية التي تربى فيها السيد أحمد، فورثت طباع تختلف عن الطباع التي ورثها السيد؛ لذلك تمردت عليه وعلى أوامره التي لم تتناسب مع تكوينها النفسي التي جمعته من تكوينها المادي وتكوينها الاجتماعي، "**فما كان لمثله أن يطيق مثلها وما كان لمثلها أن تطيق مثله**"(٣٦).

ثالثًا: العامل النفسي (السيكولوجى) في بناء شخصية السيد أحمد عبد الجواد:

الكيان النفسي هو البعد الثالث في تكوين الشخصية وهو ثمرة البعدين الأخرين– المادي (الفسيولوجى) والاجتماعي (السوسيولوجى)–، حيث أن "آثرهما المشترك هو الذى يحيى فينا مطامعنا ويسبب هزائمنا وخيبة آمالنا ويكون أمزجتنا وميولنا ومركبات النقص فينا...، هو الذى يتمم كياننا الجسمانى والاجتماعي ويشكلهما"(٣٧). وقد استنتج الباحث أن سلوك السيد أحمد في خارج بيته مختلف تمامًا عن سلوكه في داخل بيته، فهو في خارج بيته عربيد وزير نساء، عاشق للضحك واللعب واللهو والهزار والرقص والغناء الركيك، ويشرب الخمر كل ليلة في سهراته الماجنة، ورغم ذلك كان حريصًا على وقاره واتزان عقلة عندما يعود إلى منزله في آخر الليل حتى لا يفقد احترام زوجته وأبنائه؛ حيث "**كان لا يقرر العودة إلى بيته حتى تزايله سورة الخمر ويستعيد سيطرته على نفسه حرصًا على وقاره والمظهر الذي يحب أن يبدو به في بيته**"(٣٨)، أما في داخل بيته ومع أسرته فهو شخص وقور، جاد، حازم، صارم، متزمت، متجهمًا دائمًا، اعتقادًا منه أن التجهم يساعده في السيطرة على أفراد أسرته؛ فلم يمازحهم في أي وقت، ولم يضحك أمامهم إطلاقًا، "**وما يصدر عنه من لطف فخلسة يصدر، وربما جرت على شفتيه ابتسامة عريضة – في جلسته هذه – لذكرى طافت به من ذكريات سهرته السعيدة فسرعان ما ينتبه إلى نفسه، ويطبق شفتيه**"(٣٩). وقد كانت زوجته أمينة تستغرب تصرفاته وهو يودع أصدقائه عندما يعود إلى بيته في أخر الليل من كل يوم؛ حيث كانت تنصت إلى صوته

---

٣٦ – المصدر السابق، ص٣٥٠.

٣٧– لاجوس اجرى : فن كتابة المسرحية، ترجمة: دريني خشبة، الكويت، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢م ، ص ١٠٣ .

٣٨ – نجيب محفوظ، مصدر سابق ، ص١٥.

٣٩ – المصدر السابق، ص١٦.

بشغف ودهشة وهو يودع أصحابه بنبرات طروبة ضحوكة تسيل بشاشة ورقة. والسيد لا يعترف ولا يؤمن بلهو ولعب الأطفال ولا ببراءة أي لون من ألوان اللعب واللهو، ويحذر أمينة دائمًا من التستر على لهو ولعب ابنهما الصغير قائلًا:

- **وكمال؟ إياك وأن تتستري على شيطنته!**[٤٠].

ورغم جدية السيد أحمد عبد الجواد الشديدة وتجهم وجهه مع أفراد أسرته إلا أن شخصيته تختلف تمامًا خارج بيته؛ فهو شخص يعشق المرح والضحك والهزار والرقص؛ حيث كان يسعى دائمًا للفوز بساعات مترعة بالشراب والضحك والغناء والعشق يقضيها بين أصدقائه والمقربين منه، كما كان يعشق الغناء والموسيقى بروحه وجسمه؛ "**هذا الغناء الذي يحبه كما يحب الشراب والضحك والصحاب والبدور، فلا يطيق أن يخلو منه مجلسه، ولا يأبه للشقة البعيدة يقطعها إلى أطراف القاهرة ليسمع الحاملي أو عثمان أو المنيلاوي حيثما يكون مغانيهم**"[٤١]. ورغم عشقه للغناء والموسيقى والرقص إلا أنه كان يحاول ألا يفقد كامل هيبته عندما يرقص؛ حيث كان يحرص ألا يهتز جسده بالكامل أثناء رقصه؛ وخاصة اهتزاز وسط جسده وصدره حتى لا يتشبه بالنساء، حيث كان يكتفي بهز رأسه ويديه فقط، وفي هذا الأمر يسرد الراوي قائلًا: "**وكان يُحب الغناء بروحه وجسمه، أما روحه فتطرب فتطرب وتغمرها الأريحية، وأما جسمه فتهتاج حواسه وترقص أطرافه خاصة الرأس واليدان**"[٤٢].

ومما زاد من احترام أسرة السيد عبد الجواد لعائلها هو جديته في عمله ونجاحه في تجارته؛ حيث كان يحرص على الاستيقاظ مبكرًا ليذهب إلى عمله قبل الساعة الثامنة مهما كان متعبًا أو مجهدًا من قلة النوم أو من سهراته الليلية المتكررة، "**فلم تكن لياليه الصاخبة لتنسيه واجب النهار؛ فهو يستيقظ في هذه الساعة الباكرة مهما تأخر به وقت النوم حتى يتسنى له الذهاب إلى متجره قبيل الثامنة**"[٤٣]. ومن سمات شخصية السيد – رغم أنه يعاقر الخمر ويزني ويرتكب الموبقات كل ليلة– أنه يحافظ على تأدية فروض الصلاة بشكل منتظم، بل يُؤديها بخشوع تام، وكأنه ولي من أولياء الله الصالحين، وعن هذا السلوك يحكي الراوي قائلًا: "**ثم جاء بسجادة الصلاة – وكانت مطوية على مسند الكنبة – فبسطها وأدى فريضة الصبح، صلى بوجه خاشع، وهو غير الوجه البسام المشرق الذي يلقى به أصحابه، وغير الوجه الحازم**

---

[٤٠] – المصدر السابق، ص١٨.

[٤١] – المصدر السابق، ص ص١٦–١٧.

[٤٢] – المصدر السابق، ص١٧.

[٤٣] – المصدر السابق، ص٢٢.

الصارم الذي يواجه به أهل بيته، هذا وجه خافض الجناح تقطر التقوى والحب والرجاء من قسماته المتراخية التي ألانها التزلف والتودد والاستغفار. لم يكن يصلي صلاة آلية قوامها التلاوة والقيام والسجود، ولكن صلاة عاطفة وشعور وإحساس يؤديها بنفس الحماس الذي ينفضه على ألوان الحياة التي يتقلب فيها جميعًا، كما يعمل فيتفانى في عمله، ويصادق فيفرط في مودته، ويعشق فيذوب في عشقه، ويسكر فيغرق في سكره. مخلصًا صادقًا في كل حال، هكذا كانت الفريضة حجة روحية يطوف فيها برحاب المولى، حتى إذا انفتل من صلاته تربع وبسط راحتيه وراح يدعو الله أن يكلأه برعايته ويغفر له ويبارك في ذريته وتجارته"[٤٤].

إن السيد أحمد عبد الجواد، هذا الصارم الجبار الرهيب التقي الورع، الذي يقتل من حوله رعبًا نراه في أحيان كثيرة يلعب بالدف بيد ولا يد عيوشة الدفافة وينثر النكات كالدرر فيقتل من حوله ضحكًا، وليس عجبًا بعد هذا كله أن يُرى في دكانه مثالًا للجد والوقار، فالجد جد واللهو لهو، وساعة لربك وساعة لقلبك. "**من عسى أن يكون هذا الرجل؟!**"[٤٥].. هكذا تساءل ابنه ياسين بتعجب بعدما عرف عن أبيه ما عرف.

وقد يرى البعض أن نجيب محفوظ قد بنى شخصية السيد عبد الجواد بناءًا متناقضًا؛ إذ كيف يُصلي بكل هذا الخشوع، وهو يرتكب الفحشاء والمنكر، بالرغم من أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر؟!. ولكن الباحث يرى أن محفوظ تعمدَّ أن يجعل شخصية السيد بهذا البناء؛ لأنها شخصية ليست شريرة، بل شخصية طيبة وحنونة وعطوفة رغم كل ما يُظهر منه تجاه أسرته من عنف وقسوة؛ فالسيد أحمد يتسم بالطيبة الشديدة رغم ما يبدو عليه أمام أسرته من صرامة وقسوة؛ فهو – وإن كان غضبه سريعًا وشديدًا – يعود إلى سماحته وهدوءه بنفس سرعة غضبته، فعندما غضب من ابنه ياسين بسبب محاولة الأخير اغتصاب أم حنفي "**زايله الغضب – كعادته – بنفس السرعة التي ركبه بها**"[٤٦]، وهذه سمة واضحة في شخصية السيد "**على أن غضبه – كما هي عادته – لا يستمر طويلًا**"[٤٧]

- **هل كان السيد أحمد عبد الجواد بخيلًا في كل شيء مع أسرته؟.**

إن السيد أحمد عبد الجواد لا يُبدي أي مشاعر عاطفيه تجاه أي فرد من أفراد أسرته؛ حيث يعاملهم بقسوة شديدة، فلا يبادلهم الضحكات ولا حتى الابتسامات، ولم تخرج من بين

---

[٤٤] – المصدر السابق، ص٢٤.

[٤٥] – المصدر السابق، ص٢٩٢.

[٤٦] – المصدر السابق، ص٣٣٥.

[٤٧] – المصدر السابق، ص٤٥٥.

شفتيه ابتسامة حانية تجاه أحد أفراد أسرته، وتجهمه في وجوه أفراد أسرته سمة سائدة، بل لا يشاركهم مشاكلهم ولا همومهم، ولا يبادلهم الحوار إلا للتوجيه والنصح والإرشاد أو للضرورة القصوى، والأكثر من هذا لا يجوز لهم تناول الطعام معه إلا بعد أن يأذن لهم. وهذا هو الحال الظاهر من سلوك السيد أحمد تجاه أفراد أسرته، هذا السلوك قد يبدو للآخر بأن شخصية السيد شخصية خالية تمامًا من مشاعر الحب والعطف والحنان، ولكن من يسبر أغوار هذه الشخصية يجد عكس الظاهر تمامًا؛ فهو يحمل داخل نفسه كل الحب والخير والكرم لأسرته؛ فهو يجلب لهم كل احتياجاتهم المادية بنفسه، أو يكلف أحد من أتباعه بتوصيلها إلي البيت. فالسيد سخيًا مع أسرته، وبيته عامر بالخيرات من طعام وشراب، فقد خصص الطابق الأرضي بالكامل للخزين وطهي الطعام، ويحرص – في أوقات كثيرة وخاصة في المواسم والأعياد والمناسبات المختلفة – على إدخال مباهج السرور والفرح على أهل بيته؛ وفي هذا السياق يقول الراوي: **"وكان لحجرة الفرن على عزلتها علاقة بقلبها لا تهن؛ فلو حُسب الزمن التي قضته بين جدرانها لكان عمرًا، إلى ما تتزين به الحجرة من مباهج المواسم عند حلولها حين تتطلع إليها القلوب الهاشة لأفراح الحياة، وتتحلب الأفواه لألوان الطعام الشهية التي تقدمها موسمًا بعد موسم كخشاف رمضان وقطائفه، وكعك عيد الفطر وفطائره، وخروف عيد الأضحى الذي يُسمن ويدلل ثم يُذبح على مشهد من الأبناء فلا يعدم دمعة رثاء وسط بهجة شاملة، هنالك تبدو عين الفرن المقوسة يلوح في أعماقها وهج النار كجذوة السرور المشتعلة في السرائر وكأنها زينة العيد وبشائره"**[٤٨].

إن "السيد أحمد" يتحدث – دائمًا – مع زوجته "أمينة" عن شئون الأبناء والبيت ويطمئن عليهم، ويسأل عن أحوالهم وعن احتياجاتهم؛ وفي هذا الصدد يسرد الراوي قائلًا: **"وهكذا راح يحدثها عن شئون البيت من السمن والقمح والجبن، وجعل يحمل على ارتفاع الأسعار واختفاء المواد الضرورية بسبب هذه الحرب التي تطحن العالم منذ ثلاثة أعوام"**[٤٩]، كما كان يخاف عليهم خوف كل أب حنون على أسرته، بل يتخطى حبه لأسرته الحد الطبيعي للحب، وهو الذي جعله يكون صارمًا ومتشددًا مع أفراد أسرته اعتقادًا منه أنه بهذا السلوك يحميهم من شرور الناس في المجتمع الخارجي، هذا المجتمع الذي سبر أغواره جيدًا؛ فلم يرى فيه غير

[٤٨] – المصدر السابق، ص٢٠.

[٤٩] – المصدر السابق، ص١٧.

الفسق والفجور والخيانة والغدر، هذا الفسق وهذا الفجور وهذه الخيانة اللائي يمارسهم هو ذاته، ولكنه لا يريد هذه الحياة القذرة لا لأبنائه، ولا لزوجته؛ لذلك فهو يحجبها هي وابنتيه عن العالم الخارجي حتى لا يختلطوا بالرجال.

- **هل شخصية السيد أحمد عبد الجواد شخصية شاذة عن المجتمع؟.**

رغم أن الباحث يرى أن شخصية أحمد عبد الجواد كانت موجود مثلها في العصر الذي دارت فيه أحداث الرواية إلا أن نجيب محفوظ نفسه انتقد تصرفات هذه الشخصية التي بناها هو بنفسه، ورأى أنها شخصية متطرفة، والتطرف هو "عدم الثبات في الأمر والابتعاد عن الوسطية، والخروج عن المألوف، ومجاوزة الحد، والبعد عما عليه الجماعة"[٥٠]، حيث أوضح أنها شخصية مغالى في سلوكها، وذلك عندما جعل زوجة شوكت باشا تنتقد سلوك السيد أحمد مع أفراد أسرته؛ حيث "**صارحته بأنه يغالي في المحافظة على أسرته مغالاة خرقت المألوف، وأنه يجمل به أن يأخذ نفسه بشيء من الهوادة والرفق**"[٥١]، وهذا يقوى بناء شخصية السيد، ويبرهن أن المؤلف كان يُدرك وهو يبني هذه الشخصية أنه يبني شخصية شاذة – إلى حد ما – عن شخصيات المجتمع السائد وقتذاك. على أية حال "لا يولد النص الأدبي من فراغ "[٥٢]، فأي إبداع قائم على أسس موجودة في الواقع، وبناءًا عليه؛ فإن نجيب محفوظ عندما بنى شخصية "السيد أحمد" فلا بد أن يكون قد عرف أو صادف في الواقع شخصية قريبة من شخصية السيد.

- **علاقة السيد بأبنائه الذكور:**

بنى نجيب محفوظ علاقة شخصية "السيد أحمد" بأفراد أسرته من الذكور بناءا يعتمد على الاحترام الشديد للأب، احترام يصل إلى درجة التقديس؛ فهو لا يسمح بالاختلاف في الرأي، بل لا يسمح بالرأي الآخر اطلاقًا، فالرأي رأيه مهما كان هذا الرأي، وأوامره مطاعة كأنه إله على الأرض؛ حيث "**كان السيد يطالب أبناءه بالطاعة العمياء**"[٥٣]. بل لا يجرؤ أحد من أفراد أسرته على التحديق في وجهه. وأكثر من هذا، يتجنبون تبادل النظر في حضرته فيما

---

[٥٠] – محمد بن عبد الرزاق الحسيني، وأبو الفيض – الملقب بمرتضي، الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، القاهرة، دار المعارف، ص٣١٢.

[٥١] – نجيب محفوظ، مصدر سابق ، ص٢٦٩.

[٥٢] – عمار علي حسن: النص والسلطة والمجتمع، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١١م، ص٢٣.

[٥٣] – نجيب محفوظ، مصدر سابق ، ص٢٦.

بينهم حتى لا يغلب أحدهم الابتسام لسبب أو لآخر فيعرض نفسه لزجرة مخيفة لا قِبل له بها، "**ولم يكن يجمعهم بأبيهم إلا مجلس الفطور لأنهم يعودون إلى البيت عصرًا بعد أن يكون السيد قد غادره إلى دكانه عقب تناول الغداء والقيلولة، ثم لا يعود إليه إلا بعد منتصف الليل**"(٥٤). والسيد أحمد يتعمد تفحص أبنائه بعين دقيقة ومخيفة قبل تناولهم الفطور معه لحرصه الشديد أن يظهر أبنائه بكامل أناقتهم، ويا ويل من يعثر فيه على خلل أو نقيصة في هيئته، حتى لو كانت عبارة عن بقعة زيت في ثوبه، كما كان يتعمد أن يسأل ابنه الأصغر "كمال" بغلظة قائلًا: "**غسلت يديك؟" فإذا أجابه بالإيجاب قال له آمرا" "أرنيهما" فيبسط الغلام كفيه وهو يزدرد ريقه فرقًا، وبدلًا أن يشجعه على نظافته يقول له مهددًا: "إذا نسيت مرة أن تغسلهما قبل الأكل قطعتهما وأرحتك منهما". أو يسأل فهمي قائلًا: "أيذاكر ابن الكلب دروسه أم لا؟". ويعرف فهمي بالبداهة من يعني لأن "ابن الكلب" عند السيد كناية عن كمال فيجيب بأنه يحفظ دروسه جيدًا**"(٥٥). ولكن نجيب محفوظ جعل معاملة "السيد أحمد" لابنيه الكبيرين مختلفة عن معاملته لابنه الأصغر؛ نظرًا لأنهما صارا رجلان لا يجوز معهما عقابهما بالضرب؛ حيث "**كان أكثر ما يتعرض له أحد أخويه نهرة أو زجرة فأقل ما يتعرض له هو ركلة أو لكمة، فلذلك كان يتناول طعامه في حذر وضيق**"(٥٦). ورغم هذه المعاملة القاسية التي يلقاها كمال من أبيه إلا أنه يحب أبيه حبًا كبيرًا؛ ربما لأن ""**كل من في البيت يحب الرجل لحد العبادة فانسرب حبه إلى قلبه الصغير بإيحاء البيئة**"(٥٧).

بالرغم من أن السيد أحمد يبيح لنفسه بممارسة الفحشاء مع بائعات الهوى، إلا أنه يحرص كل الحرص على تربية أبنائه على الفضيلة والعفة، فهو "**يحل لنفسه ما لا يحل لأحد من ذويه، له أن يفعل ما يشاء وعليهم التزام الحدود التي يريدهم على أن يلتزموها**"(٥٨)؛ "**والخمر والنساء التي يراها في حياته هو لونًا من اللهو لا يمس الرجولة ولا يؤذي إنما تنقلب إذا "لوثت" أحد من أبنائه جريمة لا تغتفر**"(٥٩)؛ **فهو لا** يقبل على أحد من أبنائه الذكور أن ينظر

٥٤ – المصدر السابق، ص٢٦.

٥٥ – المصدر السابق، ص٢٦.

٥٦ – المصدر السابق، ص ص ٢٨-٢٩.

٥٧ – المصدر السابق، ص٦١.

٥٨ – المصدر السابق، ص٤٥٤.

٥٩ – المصدر السابق، ص٣٣٤.

– مجرد النظر – على أي سيدة أو بنت من جيرانه، حتى لو كانت هذه النظرة بنية الزواج، فعندما أراد ابنه فهمي أن يخطب مريم ابنة الجيران، وطلب من أمه أن تحاول إقناع والده برغبته هذه، ثار على أمينة، ليس بسبب رغبة ابنه في الزواج فقط، لكن أيضًا لأنه شك أن يكون ابنه كان يسترق النظر إلى حرمات الجيران:

- **ماذا أخرسك؟.. خبريني هل رآها؟**
- **كلا يا سيدي، إن ابني لا يرفع عينيه إلى جارة ولا إلى غيرها.**
- **كيف رغب في خطبتها دون أن يراها؟.. ما كنت أحسب أن لي أبناء يسترقون النظر إلى حرمات الجيران!**(٦٠).

كما أن السيد كان يحب أبنائه ويحرص على تربيتهم وهم صغار يتمنى أيضًا أن يراهم في أفضل حال عندما يكبروا ويصبحوا رجالًا يعتمدون على أنفسهم، ويشقون حياتهم بكل سهولة ونجاح، ويغضب إذا شعر عكس ذلك، فعندما شرع في أن يزوج ابنه ياسين سأله كم ادخر من راتبه تحسبًا لهذا الزواج؟.؛ فأجابه ياسين بأنه كان ينفق كل ما يتقاضاه من راتب؛ فثار عليه ووبخه بسبب تبذيره هذا، وعندما شعر أن ياسين قد غضب من توبيخه له، تحدث إلى نفسه قائلًا: "**أحسبتني حقًا سخطت على تبذيرك لأني كنت أرجو أن أزوجك بنقودك؟! خسئت.. إنما رجوت أن أجدك مقصدًا كي أزوجك بنقودي على وفرة النقود لديك، هذا هو الرجاء الذي خيبت. وهل حسبتني لم أفكر في اختيار زوجة لك إلا بعد ضبطك متلبسًا بالزنا، وأي زنا.. زنا حقير حقارة ذوقك وذوق أمك؟!.. كلا يا بغل إني أفكر في سعادتك منذ توظفت، كيف لا وأنت أول من جعلني أبا**"(٦١)

ولم يكن يجرؤ أحد من أبناء السيد أن يعارض أبيه في أي شيء، وإذا تجرأ وعارضه فلا تتخطى هذه المعارضة الحنجرة، فعندما غضب ياسين من أبيه غضبًا شديدًا – بسبب تحكمه فيه وفرض نفوذه وأفعاله وأوامره عليه بالرغم أنه تجاوز العشرين من عمره ولديه وظيفة حكومية – لم يجرؤ على المجاهرة بما يجيش في صدره تجاه أبيه، واكتفى فقط بمنولوج مع نفسه – "**والمنولوج هو خطاب توجهه الشخصية إلى ذاتها**"(٦٢) – قائلًا: "**كما تشاء!.. منذا**

---

٦٠ – المصدر السابق، ص١٥٣.

٦١ – المصدر السابق، ص٣٣٥.

٦٢ – باتريس بافي: معجم المسرح، نرجمة: ميشال خطَّار، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ص٣٤٣.

يرد لك مشيئة؟!.. تزوجني وتطلقني.. تحييني وتميتني، لست هنا، خديجة، عائشة ، فهمي، ياسين.. الكل واحد، الكل لا شيء، أنت كل شيء.. كلا.. لكل شيء حد، لم أعد طفلًا، رجلًا مثلك سواء بسواء، أنا الذي أقرر مصيري، أطلق أو أودعها بيت الطاعة، تراب حذائي بمحمد عفت وزينب وصداقتكما، ... أي عيشة وأي بيت وأي أب، زجر وتأديب ونصائح، ازجر نفسك .. أدب نفسك.. انصح نفسك، أنسيت زبيدة؟.. وجليلة؟.. والغناء والشراب؟.. ثم تطالعنا بعمامة شيخ الإسلام وسيف أمير المؤمنين"[٦٣].

رغم غضب ياسين من تصرفات أبيه معه إلا أنه يحبه حبًا كبيرًا، فعندما كان يجلس بالقرب منه في جامع الحسين لتأدية صلاة الجمعة "**استرق إليه نظرة أخرى فرآه كالجواد الكريم الجميل بين القاعدين المتطلعين إلى المنبر، شعرَّ نحوه بإعجاب وحب خالصين، لم يعد للحنق أثر في نفسه، ومع أن الغضب بلغ به مداه يوم الطلاق، حتى بث همه إلى فهمي قائلًا: "لقد خرب أبوك بيتي وجعلني أضحوكة بين الناس"، إلا أنه تناسى الآن حنقه كما تناسى الطلاق والفضيحة وكل شيء، ثم أن هذا الواعظ نفسه ليس خيرا من أبيه.. بل هو على وجه اليقين أمعن في الضلال، حدثه عنه مرة أحد الأصحاب في قهوة أحمد عبده فقال: "إنه يؤمن بشيئين.. بالله في السماء والغلمان في الأرض، إنه من طراز حساس ترف عينه وهو في الحسين إذا تأوه غلام في القلعة"**[٦٤]. ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يشعر فيها ياسين أنه يُحب أبيه حبًا جارفًا، بل سبق هذا الموقف مواقف كثيرة شعر من خلالها أنه يحب أبيه حبًا يقارب حبه لنفسه هو ذاته، ومن تلك المواقف، عندما شاهده خلسة في بيت زبيدة؛ حيث "**شعر نحو أبيه بحب وإعجاب جديدين – غير الحب والإعجاب اللذين اكتسبهما قديما تحت ستار كثيف من الإجلال والخوف. حب وإعجاب ينبعان من أعماق النفس ويختلطان بجذورها الأولى، بل كأنهما وحب الذات والإعجاب بها شيء واحد**"[٦٥].

إن الاعتراض الوحيد الذي تعرض له السيد أحمد من أبنائه هو رفض فهمي الانصياع لرغبته الرافضة اشتراكه في المظاهرات؛ حيث أصرَّ فهمي على الاشتراك في الجهاد ضد الانجليز؛ فغضب السيد منه غضبًا شديداً؛ ولكن فهمي عقد العزم على استرضاء أبيه مهما كلفه الأمر، فذهب إليه في غرفته، وانحنى على يده فتناولها فلثمها باحترام لا حد له، وصمت مليًا ثم قال بصوت لا يكاد أن يسمع: "**صباح الخير يا بابا. ... إني آسف. ... آسف جدًا، لم**

---

[٦٣] – نجيب محفوظ، مصدر سابق ، ص ص ٤٧٩ – ٤٨٠.

[٦٤] – المصدر السابق، ص٤٨٤.

[٦٥] – المصدر السابق، ص٢٩٥.

أذق طعن السكينة منذ .... أريد أن تكون راضيًا عني. ... علم الله أنه لم يخطر ببالي قط أن أعصي لك أمرا. ... لن أستطيع أن أعيش بغير رضاك."[٦٦].

بالرغم من قسوة السيد أحمد مع أبنائه وتطرفه الشديد في تربيتهم إلا أنه كان يضمر لهم حبًا كبيرًا داخل قلبه، ويظهر هذا في مواقف كثيرة في الرواية، منها موقف السيد من خبر استشهاد ابنه فهمي أثناء اشتراكه في المظاهرات؛ حيث ترك دكانه وسار يهذي وهو في طريقه إلى بيته: **"كيف أصدق أن فهمي مات، ... ، لن أراه بعد اليوم لا في البيت ولا في أي مكان على ظهر الأرض؟.. كيف يكون البيت من غيره؟ كيف أكون أنا من بعده؟.. أين تذهب الآمال المعقودة عليه؟.. لم يعد ثمة أمل سوى الصبر.. الصبر؟.. آه.. هل تشعر بوخز الألم الحاد؟ هذا هو الألم حقًا .. كنت تخدع أحيانًا فتزعم أنك متألم. كلا. لم تتألم قبل اليوم، هذا هو الألم حقًا"**[٦٧].

- **علاقة السيد أحمد بابنتيه:**

علاقة "السيد أحمد" بابنتيه: "خديجة" و"عائشة"، اختلفت بعض الشيء عن أبنائه الذكور، فلم يسمح لهما بالخروج من البيت مطلقًا، ورفض رفضًا قاطعًا أن يذهبنا إلى المدرسة لاستكمال تعليمهما، حيث فضلَّ أن تكون ابنتيه شبه جاهلتين حتى لا يخرجا من البيت فتقع أعين الرجال عليهما، بل لم يسمح لهما بالنظر إلى الشارع من خلال نوافذ البيت – مثلهما مثل والدتهما – حيث كان يُغار على نساء أسرته غيرة زائدة عن الحد، لدرجة أنه غضب من الشيخ متولي عندما ذكر اسم ابنتيه وهو يدعو لهما، على الرغم أنه هو الذي ذكر له اسميهما وقت أن كانتا طفلتين، وفي هذا السياق يقول الراوي: **"فتثائب الشيخ حتى دمعت عيناه ثم استطرد قائلًا: وأدعو الله أن يمن على أبنائك بالفلاح والتقوى، ياسين وخديجة وفهمي وعائشة وكمال وأمهم أمين. ووقع نطق الشيخ باسمي خديجة وعائشة من أذني السيد موقعًا غريبًا على الرغم من كونه هو الذي أفضى إليه باسميهما منذ عهد طويل ليكتب لهما حجابين، وليست أول مرة ينطق الشيخ باسميهما، ولا آخر مرة، ولكن لم يكن يتردد اسم واحدة من حريمه بعيدًا عن الحجرات – ولو على لسان الشيخ متولي– حتى يقع من نفسه موقعًا غريبًا ينكره ولو إلى حين"**[٦٨].

---

[٦٦] – المصدر السابق، ص ص ٥٧٢ – ٥٧٤.

[٦٧] – المصدر السابق، ص٥٨٥.

[٦٨] – المصدر السابق، ص ص٤٨–٤٩.

إن السيد أحمد عبد الجواد يرفض رفضًا قاطعًا أن يرى أي رجل احدى ابنتيه رؤي العين، ويُعد هذا جريمة كبيرة تستحق العقاب الشديد لابنتيه حتى لو كان هذا بقصد الزواج، بل الأكثر من هذا يرفض زواج احدى ابنتيه من رجل قد يعتقد أهل الحارة أن هذا الرجل قد رأها قبل الزواج منها، والحوار التالي من الرواية يوضح ذلك:

- **إن عين رجل لم تقع على احدى ابنتي منذ انقطاعهما عن المدرسة في سن الطفولة.**
- **مهلا.. مهلًا .. هل حسبتني أشك في هذا يا ولية؟!.. لو شككت فيه ما أشبعني القتل!.. إنما أتحدث عما يجري في عقول بعض الناس ممن لا يعرفوننا، "إن عين رجل لم تقع على احدى ابنتي"!.. ماشاء الله، وهل كنت تريدين أن تقع عين رجل عليهما؟!.. يالك من مجنونة مهذارة، إني أردد ما قد تشيع به ألسنة السفهاء من الناس، أجل.. إنه ضابط الحي، يسير في شوارعنا صباح مساء فلا يبعد أن يقوم عند البعض ظن احتمال رؤيته لاحدى الفتاتين إذا علموا بزواجه منها.. لا أحب، لا أريد أن أعطي ابنتي لأحد ليثير الشبهات حول سمعتي، بل لن تنتقل ابنتي إلى بيت رجل إلا إذا ثبت لدي أن دافعه الأول من زواجه منها هو رغبته الخاصة في مصاهرتي أنا .. أنا .. أنا"[٦٩].**

إن غيرة السيد أحمد تخطت حدود المألوف، فهو يغير على ابنته المريضة من الطبيب الذي جاء لينقذ حياتها بعد ولادتها؛ حيث أخذ يتأمل الموقف بينه وبين نفسه: "الطبيب؟.. لم يفكر في ذلك من قبل ، طبيب عند نفساء؟!.. مع الرحم وجهًا لوجه، أليس كذلك؟ ولكنه طبيب!.. ما الحيلة؟!، ... كان السيد يحادث نفسه: "**دعا الأحمق الطبيب ليطلع على زوجه بغير موجب، بغير موجب!.. ياله من أحمق. ولم يستطع أن يكتم غيظه فقال وهو يداريه بلهجة رقيقة: حقًا الخوف يفقد الرجال حسن الروية، أما كان يجمل بك أن تفكر قليلًا قبل أن تبادر إلى إحضار رجل غريب ليرى زوجك بملء عينيه؟!**"[٧٠]. والسيد أحمد يتمتع بقلب رقيق، أرق مما يظن الكثيرون، بل أرق مما ينبغي، "**ولكم يسعده أن يجود بكل غال في سبيل إسعاد فتاتيه سواء هذه التي يرى في وجهها الجميل وجه أمه أو تلك التي لم تصب من الحسن إلا لونا شاحبًا، كلتاهما من نبض قلبه وعصارة روحه**"[٧١].

[٦٩٦٩] – المصدر السابق، ص١٨٦.

[٧٠] – المصدر السابق، ص ص ٥٦١ – ٥٦٢.

[٧١] – المصدر السابق، ٢٧٢.

إن شعور السيد أحمد عبد الجواد نحو أبنائه من الإناث يختلف عن شعوره نحو أبنائه من الذكور، فهو رغم حبه الشديد لابنتيه الذي لا يقل عن حبه لأبنائه الذكور إلا أنه كان يفضل ألا ينجب بنات، فالسيد ذى طبيعة خاصة خرقت المألوف من الطبائع، فهو يجد في فكرة زواج ابنته من رجل فكرة تؤذي نفسيته، فهو يغار على بناته غيرة مغالى فيها، ويشعر في زواج ابنته شعورًا لا يرتاح إليه وإن لم يقره عقل أو دين، وليس معنى هذا أنه لا يرغب في ألا تتزوج كريمتاه، "**فالحق أنه كسائر الأباء جميعًا رجا الستر لفتاتيه، ولكن لعله تمنى كثيرا لو لم يكن الزواج الوسيلة الوحيدة لهذا "الستر" ولعله تمنى لو كان الله قد خلق البنات على طبيعة لا تحتم الزواج أو لعله تمنى في الأقل لو لم يكن أنجب إناثًا خالص**"[٧٢]. وليس معنى هذا أن السيد لا يحب ابنتيه، بل يحبهما حبًا لا يقل عن حبه لأبنائه الذكور، وعن هذا الحب قال: "**لا يعني هذا أني لا أحب ابنتيَّ فالحق أني أحبهما كما أحب ياسين وفهمي وكمال سواء بسواء**"[٧٣]. كما يُعد المساس بكرامة احدى ابنتيه مساس بكرامته هو شخصيًا؛ فعندما علم أن بعض النساء جئن لخطبة احدى ابنتيه، وفضَّلن عائشة على خديجة غضب غضبًا شديدًا؛ وامتلأت صفحة وجهه البيضاء بالدم وتطاير الشرر من عينيه. لأنه عد هذا استهانًا بكرامة خديجة، "**ومن يستهن بخديجة فكأنما استهان بشخصه، ومن يمس كرامتها فكأنما طعنه في صميم كرامته**"[٧٤].

رغم قسوة السيد أحمد في تربية أبنائه وصرامته الشديدة معهم، وقلبه الغليظ الذي يبدو به أمامهم وكأنه وحش كاسر إلا أن هذا الرجل الجبار يتحول إلى إنسان وديع مرهف الحس، إنسان طيب للغاية عندما يتعرض أحد أبنائه لمكروه، وظهر هذا جليًا أثناء ولادة ابنته عائشة وتعثرها في الوضع؛ حيث ظهر السيد – هذا الرجل صاحب الصدر العريض القوي والوقار الحازم المهيب – بقلب يتعذب أشد العذاب؛ حيث كان وراء العينين الواجمتين الرزينتين دمع متجمد، وأخذ يتحدث في منولوج مع النفس – حيث "يظهر المنولوج في لحظات حرجة من الحدث فليفت الانتباه إلى حيرة البطل ويكشف عن مكنون ذاته"[٧٥] – قائلًا: "**ماذا دهم الصغيرة ؟ الطبيب؟! لماذا تحُول العجوز بيني وبينها ؟! ابتسامة رقيقة أو كلمة حنونة مني أنا، مني**

---

[٧٢] – المصدر السابق، ص٣١٠.

[٧٣٧٣] – المصدر السابق، ص٣١٠.

[٧٤] – المصدر السابق، ص١٨٣.

[٧٥] – ماري إلياس/ حنان قصاب: المعجم المسرحي.. مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٧، ص٤٩٥.

أنا خاصة. حقيقة بأن تخفف من آلامها، زواج زواج وآلم، لم تذق في بيتي مرارة الآلم قط، العزيزة الجميلة الصغيرة، رحمتك اللهم، فسد طعم الحياة، إنه ليفسد لأهون اذى يتهددهم، ... اللهم استجب، أنت أعلم بحالي بأن تنجيها كما نجيتني من الانجليز، قلبي لا يطيق هذا العذاب، عند الله الرحمة، هو قادر على حفظ أبنائي من كل سوء، لا طعم للحياة من غير ذلك"[٧٦].

ولأن "**الشخصية هي مصدر الحبكة**[٧٧]؛ فإن نجيب محفوظ بنى شخصية الأبناء لتكون متؤائمة مع بناء شخصية أبيهم؛ وبالتالي تظهر مواقف أحداث الرواية بشكل منطقي ومقبول؛ حيث جعل الفتاتين لا تخرجا خارج بيت أبيهم إلا للضرورة القصوى، ولم يستكملا حظهما من التعليم، وأصبحتا أسيرتا الجهل وعدم المعرفة؛ فرضيتا بحالهما ورضختا رضوخًا تامًا لأوامر أبيهما، كما ساعدت نشأتهما وتربيتهما – بهذا الشكل – على رضوخ أمهما لأوامر أبيهما وطاعته طاعة عمياء وكأنه الله على الأرض.

من خلال تحليل العلاقة بين بين الأب وأبنائه استنتج الباحث أن العلاقة مبنية بناءًا دراميًا محكمًا؛ حيث أن الدراما في جوهرها "أحداث متتابعة منظمة خارجية، مترابطة ترابطًا وثيقًا مع مسلك الشخصيات، بحيث تبرر هذا المسلك تبريرًا مقنعًا"[٧٨]؛ فتصرفات ومواقف السيد مع أبنائه متفقة مع خصائص شخصيته الصارمة في تربيتهم؛ لخوفه الشديد عليهم ورعايته لهم رعاية شاملة، وطيبة قلبه الشديدة رغم تجهمه الدائم معهم. كل هذه السمات في شخصية الأب انعكست على بناء شخصيات الأبناء فبادلوه حبًا بحب، مما جعلهم يطيعوه طاعة عمياء، ولعل هذا يتضح من حوارهم مع بعضهم البعض أثناء احدى جلساتهم اليومية؛ حيث "**تكلموا كثيرًا عن قلب أبيهم فاتفقت كلمتهم على أنه قلب خير رغم ثورته وحدته وأن أبعد شيء عن تصورهم هو أن يُقدم على على عمل من شأنه أن يسيء إلى السمعة أو يؤذي أحدًا**"[٧٩].

– علاقة شخصية "السيد أحمد" بزوجته "أمينة":

استطاع "السيد أحمد عبد الجواد" أن يسيطر على زوجته أمينة منذ بداية زواجه منها، حيث إنه لم يمنحها الفرصة في الاعتراض على أي تصرف يصدر منه أو أن تُبدي غضبها من أي شيء، حتى لو كان لا يروق لها؛ فعندما أعلنت مرة واحدة نوعًا من الاعتراض المؤدب

---

[٧٦] – نجيب محفوظ، مصدر سابق ، ص ص ٥٥٩ –٥٦٠.

[٧٧] – عبد القادر القط: من فنون الأدب.. المسرحية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٨، ص ٢١.

[٧٨]– م محمد الغنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، القاهرة، نهضة مصر للنشر والتوزيع، ١٩٩٦، ص ١٣٤..

[٧٩] – نجيب محفوظ، مصدر سابق ، ص٢٥٠.

على سهره المتواصل فوجئت به يمسكها من أذنيها بقوة ويغضب، ويقول لها في لهجة حازمة: "**أنا رجل، الآمر الناهي، لا أقبل على سلوكي أية ملاحظة، وما عليك إلا الطاعة، فحاذري أن تدفعيني إلى تأديبك**"(٨٠). ومن وقت هذا الموقف، وما تلاه من مواقف مشابهة، استقر في وجدان وعقل أمينة ثقافة الطاعة العمياء لزوجها؛ وبالفعل أطاعته، وتفانت في الطاعة حتى كرهت أن تلومه على سهره ولو في سرَّها، ووقر في نفسها أن الرجولة الحقة والاستبداد والسهر إلى ما بعد منتصف الليل صفات متلازمة لجوهر واحد.

ورغم أن السيد يبيح لنفسه كل شيء من متاع الحياة الدنيا إلا أنه يحرم على زوجته أن تخرج إلى الشارع بمفردها أو حتى النظر من شرفة منزلها، ولا يبيح لها سوى زيارة لوالدتها كل حين وآخر، "**وعند كل زيارة يصطحبها السيد في حنطور لأنه لا يحتمل أن تقع عين على حرمه سواء وحدها أو بصحبته، لم تكن ساخطة ولا متذمرة، إنها أبعد ما تكون عن هذا بيد أنها ما تكاد تنفذ ببصرها من ثغرات الياسمين واللبلاب إلى الفضاء والمآذن والأسطح حتى تعلو شفتيها الرقيقتين ابتسامة حنان وأحلام**"(٨١). وعندما تجرأت أمينة على الخروج لزيارة الحسين بصحبة ابنها كمال، وعلم السيد بهذه الزيارة غضب منها غضبًا شديدًا ووكاد أن يطلقها، ولكنه اكتفى بطردها من بيته:

- **إني أعجب – وهيهات أن ينتهي لي عجب – كيف أقدمت على فعلتك؟!.**

(...)

- **أكنت مخدوعًا بك طوال هذه السنين وأنا لا أدري؟!**

(...)

- **كيف اقترفت هذا الخطأ الكبير!.. ألأني ابتعدت عن البلد يومًا واحدًا؟!.**

(...)

- **ليس عندي إلا كلمة واحدة! غادري بيتي بلا توان**(٨٢).

من المعروف أن الشخصية في العمل الدرامي هي "**محور تحريك الصراع**"(٨٣)؛ لذا قد يرى البعض أن نجيب محفوظ قد صنع ردة فعل مبالغ فيها وغير منطقية للسيد تجاه خروج زوجته

---

٨٠ – المصدر السابق، ص٩.

٨١ – المصدر السابق، ص٤٤.

٨٢ – المصدر السابق، ص ص ٢٢٩ – ٢٣٠.

لزيارة الحسين بدون إذنه ليزيد من اشتعال الصراع في روايته؛ لكن الباحث يرى – من خلال تحليله السابق لمقومات شخصية السيد – أن ردة الفعل هذه طبيعية؛ فالرجل اعتبر فعلة زوجته تحدي لكبرياءه وصلفه وكاد أن يعفو عنها ويسامحها إلا أنه عندما أعاد النظر إلى الحادث كله – أسبابه ونتائجه – في هدوء وهو خال إلى نفسه اقتنع بأنه إذا غلب العفو ولبَّى نداء العطف – وهو ما نزعت إليه نفسه – قد تضيع هيبته وكرامته وتاريخه وتقاليده جميعًا ؛ فيفلت منه الزمام وينتثر عقد الأسرة التي يأبى إلا أن يسوسها بالحزم والصرامة، وبالجملة لن يكون في تلك الحال أحمد عبد الجواد ولكن شخصًا آخر لن يرتضي أن يكونه أبدًا. وخاصة أن المقومات المادية والاجتماعية اللتان منحهما نجيب محفوظ لشخصية السيد تتيح له هذا التصرف القاسي تجاه زوجته، وهذا ما وضحه نجيب محفوظ على لسان الراوي؛ حيث سرد قائلًا: "**إن حساسيته الغضبية تستعر عادة من طبع وتعمد معًا، ولما كان الجانب الطبيعي منها لم يجد متنفسًا في حينه فقد وجب على الجانب المتعمد – وقد أتيحت له فرصة من الهدوء لمعاودة التفكير – أن يجد وسيلة فعالة لتحقيق ذاته على صورة تتناسب مع خطورة الذنب، (...) ثم قال لها" لا أحب أن أجدك هنا إذا عدت ظهرًا**"[٨٤]. وكما أن الباحث يرى أن طرد السيد لزوجته من بيته يتوافق مع مقومات شخيته، يرى أيضًا أن قلقه العميق عليها الذي بلغ حد الخوف والجزع – بعد إصابتها نتيجة الحادث التي تعرضت له أثناء خروجها لزيارة الحسين – مبرر أيضًا، ومتوافق مع مقومات شخصيته المادية والاجتماعية؛ فهو ورث الطيبة الشديدة من أبيه، كما ترعرع في بيئة اجتماعية أصيلة تقدر العشرة وتصونها، كما أنه يعرف قيمة زوجته أمينة ومدى تفانيها وإخلاصها له؛ لذلك "**عطف عليها عطفًا أنساه خطأها وسأل الله لها السلامة، وانكمش جبروته حيال الخطر المحدق بها واستيقظ ما تنطوي عليه نفسه من حنان موفور فعاد – يوم ذاك – إلى حجرته محزونًا مكتئبًا وإن لم يفصح وجهه.. إلا أنه مضى يستعيد طمأنينته وهو يراها تتماثل للشفاء بخطى سريعة ثابتة**"[٨٥].

قد يرى البعض أن نجيب محفوظ قد استخدم المصادفة في زواجه من أمينة – تلك المرأة ذات السمات النادرة الوجود – حتى تساعده في بناء شخصية السيد أحمد كما أراد؛ ولكن

---

[٨٣] – نصر محمود عباس: فن الدراما المسرحية.. رؤية تاريخية نقدية، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١١، ص٥١.

[٨٤] – نجيب محفوظ، مصدر سابق ، ص ص٢٣١ – ٢٣٢.

[٨٥] – المصدر السابق، ص ص ٢٣٠ – ٢٣١.

الباحث يرى أن هذا – لو صح – ليس عيبًا في الرواية؛ لأن وجود القدر أو المصادفة في الدراما ليس عيبًا من العيوب الكبيرة التي تحط من شأنها، فكثير من الأعمال الدرامية تقوم على المصادفة، "والمصادفة ليست في كل الأحوال عيبا، بل أنها في بعض الأحيان ضرورة"[٨٦]. وقد يتبادر سؤال إلى أذهان البعض فحواه: هل كان السيد عبد الجواد لا يحب زوجته الثانية "أمينة" حتى يعاملها مثل هذه المعاملة التي تشبه معاملة الجواري والعبيد؟. وللإجابة على هذا السؤال يعرض الباحث بعض مواقف السيد عبد الجواد مع زوجته أمينة لكي يبرهن على إجابته عن هذا التساؤل: الموقف الأول هو فزعه عندما علم بإصابة أمينه، وعن هذا الموقف تقول أمينة: **"كان بي رحيمًا أطال الله عمره، أنصت إلى قصتي صامتًا، ثم سألني عن رأي الطبيب في خطورة الكسر وغادرني وهو يشير عليَّ أن ألزم الفراش حتى يأخذ الله بيدي**[٨٧]، وموقفه من **"دعواته المتكررة لأم زوجته بالانتقال إلى بيته لتعيش في رعاية ابنتها وأحفادها"**[٨٨]. وقد يتبادر سؤال آخر وهو: هل كانت أمينة تحب السيد رغم معاملته القاسية لها؟. وقد استنتج الباحث من تحليله لأحداث الرواية أن حب أمينة للسيد لم يقل عن حب أبنائه له؛ لأن أمينة كانت تعلم أن زوجها طيب القلب رغم ما يبدو منه من قسوة وصرامة شديدتين عليها وعلى أبنائهما، لذلك كانت تحبه حبًا شديداً، "كانت تعرف أن قلبه مثل قلب القطة، **"حين تحمل صغارها، وكأنها تلتهمها"**[٨٩]

- **بناء شخصية الزوجة الأولى للسيد أحمد عبد الجواد وعلاقته ببناء شخصيته:**

بنى نجيب محفوظ شخصية "هنية" – زوجة السيد الأولى وأم ابنه ياسين – بناءًا يدعم بناء شخصية السيد؛ ويبرهن على أن مقومات شخصية السيد أحمد – المادية والاجتماعية والنفسية – مقومات راسخة وثابتة، وهذا يرد على من يرى أن سلبية شخصية أمينة – زوجة السيد الثانية – هي التي جعلت السيد يتمادى في قسوته وشدته عليها؛ فزوجة السيد الأولى كانت امرأة جميلة وذات حسب ونسب ومال، وكان السيد شديد التعلق بها وبأنوثتها الطاغية، ورغم ذلك، ورغم حملها منه طفلًا إلا أنه طلقها دون رجعة؛ لأنها رفضت أن يمنعها عن زيارة

---

[٨٦] – توفيق الحكيم : أدب الحياة ، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٩، ص ٣٥.

[٨٧] – نجيب محفوظ، مصدر سابق ، ص٢٢٠.

[٨٨] – المصدر السابق، ص ٢٤٣.

[٨٩] – المصدر السابق، ص٣٣٩.

أبيها، كما أنه لم يوافق على اعتراض أهلها على ضربه لها. رجل بهذه السمات كان من الصعب أن تستقيم حياته إلا مع زوجة مقوماتها الشخصية مثل مقومات أمينة.

وحدث صراع درامي بين السيد وزوجته هنية، "والصراع الدرامي في تعريف عبد العزيز حمودة "**يجب أن يكون صراعًا بين إرادات إنسانية تحاول فيه إرادة إنسان ما أو مجموعة من البشر كسر إرادة إنسان أخر أو مجموعة من البشر**"[٩٠]. وقد حاولت هنية كسر إرادة زوجها السيد أحمد عن طريق عدم الخضوع لإرادته، ولكنها فشلت؛ لأن شخصية السيد شخصية عنيدة لا تقنع بأنصاف الحلول، فهو في صراعه لا يقبل الهزيمة؛ فشخصية السيد أحمد في رواية بين القصرين "**شخصية محورية من ذلك الطراز القوي العنيد الذي لا يقنع بأنصاف الحلول فإما أن يبلغ ما يريد أو يتحطم**"[٩١].

والسطور التالية من الرواية تلخص علاقة السيد بزوجته الأولى، كما توضح الإيمان الراسخ "للسيد أحمد" بشخصيته وبخصائصها التي ورثها عن أبيه وعائلته، وتمسكه بعاداته وتقاليده التي نشأ وترعرع عليها، التي جعلته معتزًا بنفسه لدرجة كبيرة للغاية. يقول الراوي: "**إنه ليذكر أيام معاشرته لها – على قصرها – كما يذكر الإنسان حمى هاضته، ربما كان مغاليًا في تصويره، ولكن رجلًا في مثل اعتداده بنفسه جدير بأن يرى في مجرد الرغبة عن الإذعان لمشيئته جريمة لا تغتفر وهزيمة قتالة. ثم إنها كانت – ولعلها لا تزال – جميلة مترعة أنوثة وجاذبية فنعم بمعاشرتها أشهرًا حتى بدا منها شيء من المقاومة لإرادته التي نزع إلى فرضها على المتصلين به من آله، ولم تر بأسًا في الاستمتاع بالحرية ولو بالقدر الذي يتيح لها زيارة أبيها من آن لآن، فغضب السيد وحاول منعها بالزجر أولًا ثم بالضرب المبرح أخيرًا، فما كان من المرأة المدللة إلا أن فرَّت إلى والديها! وأعمى الغضب الرجل المتعجرف فظن أن خير سبيل إلى تأديبها وإرجاع عقلها إلى رأسها هو أن يطلقها إلى حين – إلى حين طبعًا لأنه شديد التعلق بها – فطلقها، وتظاهر بإهمالها أيامًا وأسابيع وهو ينتظر آملًا أن يجيئه وسيط خير من آلها، فلما لم يطرق بابه أحد داس كبرياءه وبعث هو بمن يجس النبض تمهيدًا للصلح فعاد الرسول يقول إنهم يرحبون به على شرط لا يسجنها أو يضربها!.. ولكنه كان ينتظر موافقته بلا قيد ولا شرط فثار غضبه ثورة عاتية وأقسم فيما بينه وبين نفسه ألا**

---

[٩٠] – عبد العزيز حمودة: البناء الدرامي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، ص١١٠.

[٩١] – علي أحمد باكثير: فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية، القاهرة، مكتبة الأسكندرية، د.ت، ص٧٥.

يضمهما رباط إلى الأبد. هكذا ذهب كلاهما إلى حال سبيله، وهكذا قضي على ياسين أن يولد بعيدًا عن أبيه وأن يلقى من حياته في بيت أمه ما لقى من ضروب المذلة والألم"[٩٢].

- **علاقة شخصية "السيد أحمد عبد الجواد" بالناس خارج نطاق أسرته:**

لم يكن السيد مرهوبًا مخوفًا إلا بين أهله، أما بين سائر الناس من أصدقاء ومعارف وعملاء فهو شخص آخر، له حظه الموفور من المهابة والاحترام، ولكنه شخصية محبوبة قبل كل شيء، ومحبوبة لظرفها قبل أي من سجاياها الحميدة الكثيرة، "**فلا الناس يعرفون السيد الذي يقيم في بيته، ولا أهل البيت يعرفون السيد الذي يعيش بين الناس"[٩٣]**؛ فقد اتسمت علاقة السيد أحمد بالحب والود بينه وبين اصدقائه؛ حيث كان يحرص على أصدقائه كل الحرص، حتى أنه تغاطى عن خطأ صديقه محمد عفت فيه وفي ابنه ياسين الذي قال له: "**إني أسف لكون ابنتي حبلى، كم أكره أن أكون لي حفيد تجري في دمه القذارة!."[٩٤]**. وبرغم أن الجملة الأخيرة وخزته فغضب، ولكنه استطاع أن يغلق قلبه على غضبه بقوة حلمه الذي يحبو به أصدقائه وأحبابه، "**حلمه بين الأصدقاء لا يعادله في قوته إلا غضبه بين آله"[٩٥]**، ولم يبدي أي مشاعر غضب تجاه صديقه في سبيل الحفاظ على الصداقة التي تربطهما. إن السيد يرضيه بلا شك أن يشعر بما يكنه له الناس من حب ومودة، "**ولو عرض له من حبهم دليل كل يوم لأوجد له كل يوم سرورًا مشرقًا لا يبليه التكرار"[٩٦]**.

- **علاقة "السيد أحمد عبد الجواد" بالنساء:**

كان السيد أحمد عبد الجواد مولعًا بالنساء، حيث أطلق لرغباته الجسدية العنان، وراح يغرف من بحور العشق والهوى كالثور الهائج، كلما دعته امرأة ذات حسن وجمال استجاب لها في نشوة وحماس. لم يكن يرى في أية امرأة إلا جسدًا، "**فلم يكن أشبه بشهوته من جسمه، فهو**

---

[٩٢] – نجيب محفوظ، مصدر سابق ، ص ص ١٢٥ – ١٢٦.

[٩٣] – المصدر السابق، ص٤٥.

[٩٤] – المصدر السابق، ص٤٧٦.

[٩٥] – المصدر السابق، ٤٧٦.

[٩٦] – المصدر السابق، ص٩٦.

مثلها في الضخامة والقوة اللتين توحيان بالقسوة والوحشية"[٩٧]، ولكنه، رغم عشقه للنساء، إلا أنه لم يعتد على عرض أو كرامة قط؛ حيث كان لا يرفع ناظريه على وجه أو جسد أي امرأة من نساء حارته أو نساء جيرانه أو زوجات أصدقائه، ولكنه كان يروي عطشه الجنسي من خلال ممارسة الرزيلة مع الغانيات وبائعات الهوى؛ لذا نراه ينتقل من أحضان غانية إلى أحضان أخرى. والحوار الذي دار بينه وبين الشيخ متولي يبرهن على هذا:

- **ماذا تقول وأنت المؤمن الورع في ولعك بالنساء؟!. (...)**
- **ما على من ذاك. ألا يحدث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، عن حبه للطيب والنساء؟.**
- **الحلال غير الحرام يا ابن عبد الجواد. والزواج غير الجري وراء الفاجرات..**
- **ما ارتضت نفسي يومًا أن تعتدي على عرض أو كرامة قط. والحمد لله على ذلك"**[٩٨]

وغرام "السيد أحمد" بالنساء كان ينسيه نفسه بعض الوقت وينسيه وقاره واحترامه لأوقات طويلة، فعندما يكون في صحبة امرأة ينسى كل شيء، لدرجة أنه قد يقبل الإهانة من امرأة غانية بصدر رحب، والحوار التالي من الرواية الذي دار بينه وبين زبيدة – العاهرة – يبرهن على هذا:

- **يالك من رجل مظهره الوقار والتقوى وباطنه الخلاعة والفجور، الآن صدقت حقًا ما قيل لي عنك.**
- **وماذا قيل؟! .. اللهم اكفنا شر القيل والقال..**
- **قالوا لي إنك زير نساء وعبد شراب.**
- **حسبته ذمًا والعياذ بالله..**
- **ألم أقل لك إنك رجل قارح فاجر؟!**
- **هي الشهادة لي بأني حزت القبول إن شاء الله.**[٩٩].

وكان "السيد أحمد" يعشق الطرب والغناء والرقص؛ ولم يكن يتوانى أن يمسك الدف ويقرع عليه تلبية لرغبة راقصة، فهو كان بارعًا في النقر على الدف، فأثناء احدى سهراته عند "زبيدة" تناول الدف، ومسح عليه براحته، وبدأ النقر على الدف في مهارة فائقة، ثم غنت زبيدة:

---

[٩٧] – المصدر السابق، ص١١٦.

[٩٨] – نجيب محفوظ، مصدر سابق ، ص ص٥٠-٥١.

[٩٩] – المصدر السابق، ص١١٠.

"**على روحي أنا الجاني وخلّي في الهوى رماني**"[١٠٠]. ورغم ولعه بالنساء إلا أنه لم يكن ينظر، مجرد النظر، إلى أي من حريم جيرانه أو حريم أصدقائه أصدقائه، بل لا يبيح لنفسه النظر إلى أي امرأة إلا إذا كانت من الغانيات فقط، والأمثلة على هذا السلوك كثيرة في الرواية؛ فعندما زارته أم مريم في بيته لم يرفع بصره عليها، فبرغم أنوثتها الطاغية وجمالها الفتان إلا أنه "**غض بصره تحشمًا تاركًا على شفتيه ابتسامة لتعلن ترحيبه بالحديث المنتظر**"[١٠١]. وعندما أوحت له أم مريم برغبتها في جسده – عندما زارته في محل عمله بعد زيارتها الأولى له في بيته – رفض؛ لأنه لا يعتد على حرمات الجيران، ويحرص الحرص كله على احترام الجيران احترامًا مثاليًا، ولأنه "**لا يقبل أن يحيد عن مبادئه في تقديس الأعراض عامة، وما يمس الأصدقاء والجيران منها خاصة**"[١٠٢]. ولكنه عاش صراعًا داخليًا – الصراع الداخلي هو "صراع يكون داخل النفس البشرية بين دافعين متناقضين، كل واحد منهما يدفعها في طريق، فتكون أمام اختيار صعب وامتحان عسير، وقد يكون الدافعان واجبين"[١٠٣] – بين مبادئة في تقديس أعراض الجيران وبين رغبته الحارقة في معاشرة جارته "أم مريم"، وانتصرت الشهوة في هذا الصراع؛ واستجاب لنداء جسدها الفتان؛ لأنه وجدها عاهرة ترتدي ثوب الفضيلة.

لم يكن السيد أحمد – كابنه ياسين – مغرما بالمرأة بلا قيد ولا شرط، فقد امتازت شهوته دائمًا بالرفاهية؛ حيث كان ينتقي ما يعاشر من النساء، حيث كان مغرما بالجمال الأنثوي في لحمه وتبختره وأناقته، وكما كان يعشق الجمال مجردًا كان يعشقه كذلك في هالاته الاجتماعية الكبيرة. "**تجذبه المكانة المرموقة والصيت البعيد، ويلذ له أن ينوه خاصته بعشقه ومعشوقاته إلا فيما ندر من أحوال توجب ألتستر والكتمان كحال أم مريم**"[١٠٤]. وبرغم غرامه المنحرف هذا إلا أنه لم يكن يبيح لنفسه إلا ما يراه مباحًا، حتى أنه – كما ذكر الباحث – لم يتعمد النظر إلى وجه امرأة من حيه طوال عمره، وكان يحرص كل الحرص على سمعته الطيبة بين الناس، لدرجة أنه كان يؤثر الصداقة على غرامياته النسائية، فلم يؤخذ عليه أبدًا أنه سطا على محظية صاحب أو طمح بطرف إلى خليلة صديق؛ لأنه يؤمن – كما اعتاد أن يقول– "**إن الصديق ود دائم والعشيقة هوى عابر**"[١٠٥].

---

[١٠٠] – المصدر السابق، ص١٢١.

[١٠١] – المصدر السابق، ص٢٦١.

[١٠٢] – المصدر السابق، ص٢٦٤.

[١٠٣] – عبد الله خمار: تقنيات الدراسة في الرواية، الجزائر، دار الكتاب العربي، ١٩٩٩، ص١٠٣.

[١٠٤] – نجيب محفوظ، مصدر سابق ، ص٤٥٧.

[١٠٥] – المصدر السابق، ص٢٦٥.

ويرى الباحث أن نجيب محفوظ لم يرِد أن يروي عطش بطل روايته للنساء عن طريق الزواج المتكرر مثل أبيه، حتى يتمكن من بناء شخصية "السيد أحمد" بناءًا محكمًا، لذلك نجده يقدم مبررًا لذلك على لسان بطل روايته قائلًا: **"لقد تزوجت مرتين، أخفقت في الأولى، ووفقني الله في الأخرى، ولن أبطر بنعمة الله"**[١٠٦]. ويستطرد مؤلف الرواية في سرد مبررات عدم تكرار زواج "السيد أحمد" قائلًا: **"والحق أنه طالما تغلب على مغريات الزواج على كثرة ما تهيأ له من فرص مواتية، بقوة إرادة لا تنثني، وكأنه لم ينس مثل أبيه الذي انزلق إلى زيجات متلاحقة بلا وعي، بددت ثروته وجرت عليه المتاعب"**[١٠٧].

- **رؤية "السيد أحمد عبد الجواد" إلى المرأة:**

لا يؤمن السيد أحمد بحرية المرأة، ولا بمساواتها بالرجل، ولا بعملها خارج بيتها، بل يرفض خروجها من بيت زوجها من الأساس، إلا لزيارة أهلها شريطة أن تكون بصحبة زوجها، فقد منع زوجته من الخروج منعًا باتًا حتى لو كان خروجها لزيارة ضريح الحسين، فها هو يعنف ابنه "ياسين"؛ لاصطحابه زوجته العروس للتنزه حارج البيت، قائلًا: **"ألا تعلم بأني أحرم على زوجي الخروج ولو لزيارة الحسين؟ كيف إذن سوَّلت لك نفسك أن تأخذ زوجك إلى ملهى داعر لتسهر فيه إلى ما بعد منتصف الليل؟!.. يا أحمق أنت تدفع بنفسك وبزوجك إلى الهاوية فأي شيطان ركبك؟ ... أي رجل من الرجال أنت؟.. كان الجواب الخليق بها لطمة!.. إنه لا يفسد النساء إلا الرجال وليس كل الرجال جديرا بالقيام على النساء"**[١٠٨]. وهكذا وبخ السيد أحمد ابنه ياسين لأنه اصطحب عروسه إلى التنزه خارج البيت؛ لأنه يعد هذا الفعل جريمة لا تغتفر. وكما وبخ ابنه على فعلته هذه وبخ زوجته أيضًا؛ حيث جلس معها ليعاتبها ويعلمها خطورة ذلك على سمعتها وسمعة زوجها وأسرته؛ حيث قال لها: **"... ثمة أمور أعد السكوت عليها جريمة لا تغتفر، من ذلك أن تبقى فتاة مثلك خارج بيتها حتى هذه الساعة من الليل، لا تحسبي أن وجود زوجك معك عذرًا عن هذا السلوك الشاذ"**[١٠٩].

ويؤمن السيد أحمد عبد الجواد بضرورة طاعة المرأة لزوجها طاعة عمياء، فعندما خرجت زوجته الأولى (هنية) عن طاعته طلقها دون رجعة بالرغم من أنها كانت في شهور زواجها الأولى وكانت حامل منه في ابنهما "ياسين"، وعندما تزوج زوجته الثانية (أمينة) فرض عليها الرضوخ لأوامرة وطاعته؛ فاستجابت، ولذلك استقرت عيشتهما، حيث يُؤمن بأن تربية الزوجة

---

[١٠٦] – المصدر السابق، ص٩٧.

[١٠٧] – المصدر السابق، ص٩٧.

[١٠٨] – نجيب محفوظ، مصدر سابق ، ص ص٣٦٩ – ٣٧٠..

[١٠٩] – المصدر السابق، ص٣٦٧.

حق أصيل من حقوق الزوج، ويتضح هذا من توجيهاته ونصائحه لابنه ياسين الذي سمح لزوجته بالخروج معه للتنزه؛ حيث خاطبه قائلًا: **"لم تعد في بيت أبيها، عليها أن تحترم آداب الأسرة التي صارت عضوا فيها، أنت زوجها وسيدها وبيدك وحدك أن تصورها في أي صورة تشاء"**[١١٠].

ويرى الباحث أن نجيب محفوظ يؤمن هو نفسه بوجهة نظر شخصية "السيد أحمد عبد الجواد" عن المرأة، بدليل أنه جعل ياسين يعتنق هذه الرؤية بالرغم من حداثة عمره وقلة خبرته بالحياة؛ حيث حكى الراوي ما يدور في خلد ياسين عندما تذكر سلوك أمه المشين؛ حيث وصفها قائلًا" **"امرأة . أجل ما هي إلا امرأة.. وكل امرأة لعنة قذرة .. لا تدري امرأة ما العفة إلا حين تنتفي أسباب الزنا.. حتى امرأة أبي الطيبة، الله وحده يعلم ماذا كان يمكن أن تكون لولا أبي"**[١١١]. وفي موضع أخر يروي نجيب محفوظ على لسان ياسين أيضًا قائلًا: **"كل إنسان ملوث في هذه الحياة ومن يزح الستار يرى عجبًا"**[١١٢]. كما يرى محفوظ – من خلال رؤية "السيد أحمد" – أن المرأة ناقصة عقل ودين، فعندما غضب السيد من أمينة في أحد المواقف خاطبها بقوله: **"ما أنت إلا امرأة، وكل امرأة ناقصة عقل"**[١١٣]. ولعل ما طرحه نجيب محفوظ على لسان شخصية ياسين وهو يخاطب زوجته العروس زينب فيه ما يبرهن على رأي الباحث؛ حيث خاطب ياسين زوجته قائلًا: **"لا داعي للحزن يا عزيزة، منذ القدم والبيوت للنساء والدنيا للرجال، هكذا الرجال جميعًا، والزوج المخلص الذي يحافظ على أمانته وهو بعيد عن زوجته كما يحافظ عليها وهو بين يديها"**[١١٤]. كما يؤمن المؤلف بأن استقرار الأسرة يكمن في استقرار الزوجة في بيت زوجها ولا تبارحه إلا للضرورة القصوى وبإذن زوجها، وهذا واضح من كلام ياسين لزوجته: **"... وما على النساء من واجب الطاعة والتزام الحدود "انظري إلى امرأة أبي هل رأيتها اعترضت يومًا على تصرف أبي؟.. على ذاك فهما زوجان سعيدان وأسرة مطمئنة"**[١١٥].

إن السيد أحمد يرى أن للرجل كل الحقوق، حتى لو ارتكب الموبقات، فلا يجوز للمرأة أن تحاسب الرجل، حتى لو ضبطت زوجها متلبسًا مع خادمتها، فعندما ضبطت زينب زوجها

---

[١١٠] – المصدر السابق، ص٣٧٠.

[١١١] – المصدر السابق، ص٩٥.

[١١٢] – المصدر السابق، ص٩٥.

[١١٣] – المصدر السابق، ص١٨٥.

[١١٤] – المصدر السابق، ص٣٩١.

[١١٥] – المصدر السابق، ص٣٩١.

ياسين يخونها مع خادمتها – السوداء ذات الأربعين ربيعًا – وصرخت وولولت؛ غضب السيد منها؛ لأنها فضحت ابنه، فلا يجوز لامرأة – من وجهة نظرة – أن تفضح زوجها مهما فعل من أعمال فاضحة؛ **"فما كان يخلق بزوجة كريمة أن تقضح زوجها – مهما تكن الظروف على النحو التي فضحت به ياسين!"**[١١٦].

- **علاقة "السيد أحمد" بربه:**

جمعت حياة "السيد أحمد" شتى المتناقضات التي تراوح بين العبادة والفساد، وحازت جميعًا رضاه على تناقضها دون أن يدعم هذا التناقض بسند من فلسفة ذاتية أو تدبير مما يصطنع الناس من ألوان الرياء، ولكن سلوكه كان يصدر عن طبيعته الخاصة بقلب طيب وسريره نقية وإخلاص في كل ما يفعل، فلم تعصف في صدره عواصف الحيرة، وبات قرير العين. وكان إيمانه عميقًا؛ حيث كان يقيم كل الشعائر الدينية، من صلاة، وزكاة، وصوم بإخلاص وإيمان شديدين. وكان يتسم برقة المشاعر ولطافة وجدان وإخلاص في كل عمل يؤديه، وتميز إيمانه بالحب الخصب النقي؛ حيث **"كان يُقبل على أداء فرائض الله جميعًا بكل حب وسريرة صافية وقلب عامر بالإيمان وعامر بحب الناس**[١١٧].

- **علاقة السيد أحمد بوطنه:**

من المعروف أن الشخصية الدرامية "تتكون بشكل متقطع من معلومات موزعة على طول النص الأدبي"[١١٨]. ومن خلال تتبع الباحث لخصائص شخصية السيد أحمد استنتج أنه يتميز بحس وطني كبير؛ فمن يلاحظ خوف السيد على ابنه فهمي من الانخراط في المظاهرات التي تطالب بالاستقلال من الاحتلال البريطاني – لدرجة أنه طلب منه أن يقسم على المصحف بألا يخرج في المظاهرات – يعتقد أن السيد رجل غير وطني، ولكن الحقيقة أن الرجل وطني حتى النخاع، ولكن خوفه على أبنائه غلب على حبه لوطنه – وهذا أمر طبيعي من وجهة نظر الباحث – والدليل على وطنية "السيد" هو تبرعه الدائم للمجاهدين وللجان الشعبية التي تطالب بالاستقلال وجلاء الاحتلال الانجليزي عن مصر، كما كان **"يؤمن بأن وقته لحياته، وللوطن ما يشاء من قلبه وعواطفه، بل ماله إذا تيسر، إذ لم يكن يضن به إذا وجب التبرع لغرض من الأغراض، وإلى ذلك فلم يشعر مطلقًا بأنه مقصر في واجبه على نحو ما، وعلى العكس عُرف بين صحبه بالوطنية"**[١١٩].

---

[١١٦] – المصدر السابق، ص٤٥٦.

[١١٧] – المصدر السابق، ص ص٥٢-٥٣.

[١١٨] – مارى كارمن بوبيس: سيمولوجيا المسرح، ترجمة: أحمد عبدالعزيز، القاهرة، دار النصر للنشر، ٢٠٠٤، ص ٢٧.

[١١٩] – نجيب محفوظ، مصدر سابق ، ص٣٨٨.

- **الحبكة الدرامية لرواية "بين القصرين":**

الحبكة الدرامية "هى "بنية التفاعل أو ترتيب الأحداث للقصة"[١٢٠]، والحبكة هي "تسيج محكم متماسك الأطراف كبنيان مرصوص، ليست له ذوائب أو خيوط مدلات"[١٢١]. وقد بنى نجيب محفوظ أحداث روايته "بين القصرين" بناءًا على بنائه الدرامي لشخصية بطل الرواية "السيد أحمد عبد الجواد"، ولم يعتمد على العكس، أي بنى الحبكة الدرامية للرواية ثم بنى شخصية السيد بناءًا على بنائه للحبكة؛ **لأن** "هناك من يعتبر الشخصية هي أساس النص الدرامي وهناك من يعتبر الحبكة هي أساس النص الدرامي، وأن الشخصية ليست سوى عامل مساعد للحبكة"[١٢٢]؛ فشخصية السيد في رواية بين القصرين ليست عامل مساعد للحبكة، بل هي التي صنعت أحداث الرواية، "والحدث هو العمود الفقرى في العمل الأدبي، الروائى منه والتمثيلى أو الدرامى، وعليه ترتكز الجوانب المختلفة للعمل الفني سواء كانت الشخصيات أو الحبكة أو البناء العام"[١٢٣]. ولأن "لا حبكة بدون صراع"[١٢٤]؛ فإن نجيب استخدم صراعًا من أفضل أنواع الصراع في الدراما وهو الصراع الصاعد؛ "والصراع بوجه عام هو "تعارض مرئي بين قوتين متعارضتين متكافئتين ينمو بمقتضى تصادمها الفعل الدرامي"[١٢٥]، أما الصراع الصاعد – أي المتدرج– "هو نتيجة لمقدمة منطقية واضحة محددة. ولشخصيات متناسقة تناسقا بديعا اكتملت لها أبعادها الثلاثة: وقامت بينها الوحدة على أساس قويم ثابت"[١٢٦].

وحتى تكتمل حبكة روايته وكذلك يكتمل بناء شخصية السيد أحمد استخدم محفوظ موضوع واحد لروايته؛ وهي حكاية حياة أسرة مصرية تعيش في احدى أحياء القاهرة القديمة وهي أسرة السيد أحمد عبد الجواد؛ وبهذا تحققت وحدة الموضوع في الرواية الذي يعني أن الرواية "تنظر في قضية واحدة فحسب، ولا تتعدد الحبكات"[١٢٧]، وحتى يؤكد على وحدة

---

[١٢٠]– آرثر آسا بيرغر: وسائل الإعلام والمجتمع، ترجمة: صالح أبو إصبع، الكويت،عالم المعرفة، مارس ٢٠١٢، ص ص ١٥٨– ١٥٩.

[١٢١]– مجيد حميد الجبوري: البنية الداخلية للمسرحية.. دراسات في الحبكة المسرحية، لبنان، دار ضفاف، ٢٠١٣، ص٢٤.

[١٢٢] – محمد رضا، حسين رامز، الدراما بين النظرية والتطبيق، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٢، ص٣٣٤.

[١٢٣]– فاطمة موسى محمود: قاموس المسرح .. الجزء الثانى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨ ، ص ٥٥٢.

[١٢٤]– محمد شبل الكومى: مبادئ النقد الأدبى والفنى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧، ص ٩٩.

[١٢٥] – فؤاد الصالحي: علم المسرحية وفن كتابتها، طرابلس، تالة للطباعة والنشر، ٢٠٠١، ص١٠٢.

[١٢٦]– لاجوس آجي: مرجع سابق، ٢٧٦.

[١٢٧]– محمد محمد عنانى: التركيب والتحليل في المسرح المصرى، مجلة المسرح، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، هيئة الإذاعة والمسرح والموسيقى، ع١٠، أكتوبر، ١٩٦٤، ص ٣٣.

موضوع روايته اختار لروايته بطل واحد فقط وهو السيد أحمد؛ لأنه لا يجب ألا يكون في العمل الدرامي الجيد سوي بطل واحد يثير الاهتمام، وعمل واحد ترتبط أجزاؤه ببعض وتؤلف كلا متجانسًا متدرجًا في أهميته حتى النهاية"[١٢٨].

- **الحوار في رواية "بين القصرين":**

إن "الحوار هو شكل الخطاب الذى يستخدمه النص الدرامى"[١٢٩]. ويقترب الحوار على نحو محدود جدًا مما يحدث من لقاءات كلامية في الحياة اليومية؛ حيث إن "الدراما تمثل نموذجًا نقيًا للمحادثة الاجتماعية"[١٣٠]. وقد استخدم نجيب محفوظ في حوار شخصيات روايته حوارًا باللغة الفصحى. ويرى الباحث أن نجيب محفوظ كان صائبًا في استخدامه للغة العربية الفصحى في حوار شخصيات روايته – رغم معارضة البعض هذا الأسلوب في الكتابة ومنهم توفيق الحكيم الذي قال: ""إذا كُتِبَت بالفصحى مسرحية عصرية، تنهض على شخصيات شعبية كان ذلك فعلًا خادعًا مضللًا، يقع على حساب الدقة في التصوير، والصدق في التلوين"[١٣١] – لأن محفوظ كتب روايته بأسلوب أدبي رفيع وبألفاظ جزلة لا يستوعبها إلا القارىء المثقف، مما استدعى أن يكون مفردات حوار شخصياته بذات اللغة الجزلة، وخاصة أن الحوار في الرواية كان قليلًا جدًا مقارنة بالسرد الروائي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى استخدم محفوظ مفردات جمله الحوارية – خاصة جمل شخصية السيد – بحيث تتناسب مع مقومات كل شخصية من شخصيات روايته؛ فعندما كان السيد يتحاور مع أبنائه كان يختار ألفاظ وجمل تتناسب وسيطرته وقوة نفوذه عليهم، بل كانت جمله الحوارية تختلف من ابن لآخر من أبنائه حسب سنه وسلوكه؛ فدائمًا كان يستخدم لفظ "ابن الكلب" عندما يتحدث عن ابنه الأصغر كمال، وكان كثير السباب بألفاظ وقحة مع ابنه ياسين نظرًا لسلوك الأخير الوقح مثل "أصلك قذر مثل أمك"، أما ابنه الأوسط "فهمي" فكان ينتقي الألفاظ التي يتحدث بها معه؛ لأن فهمي كانت متفوقًا في دراسته الجامعية بالإضافة إلى أنه مستقيم في سلوكه.

أما خطاب السيد مع ابنتيه فكان يتميز بالرقة والحنان إلى حد ما، عكس حواره مع أمينة الذي كان حوارًا صارمًا، يغلب عليه الألفاظ السهلة البسيطة التي تتناسب مع ثقافة أمينة المنزلية. أما حوار السيد مع الناس خارج نطاق الأسرة فكان يتسم بالألفاظ الرقيقة المهذبة المنتقاة بعناية ليحافظ على سمعته الطيبة بين الناس، هذا الحوار الذي كانت تختلف ألفاظة تمامًا عندما يكون مع العاهرات وبائعات الهوى، أو عندما يكون بصحبة أصدقائه؛ حيث كان دائمًا يتبادل معهم النكات الخليعة والضحكات بصوت مرتفع؛ والحوار التالي يوضح ذلك:

---

[١٢٨]– شكرى عبدالوهاب: النص المسرح، القاهرة، دار فلور للنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠٠١ م، ص ١٩.

[١٢٩]–مارى كارمن بوبيس: مرجع سابق، ص١٨٥.

[١٣٠]– كير إيلام: سيمياء المسرح والدراما، ترجمة: رئيف كرم، لبنان، المركز الثقافي العربى، ١٩٩٢، ص ص ٢٧٥–٢٧٦.

[١٣١] – نبيل فرج: آراء الحكيم في الآدب والفن ، القاهرة، مجلة القاهرة، ع٧٥، ١٩٨٧م، ص٢٣.

- **أما سمعت ماذا قال الجواد لنفسه بعد نزولك من العربة؟ قال إنه من المؤسف أن أوصل هذا الرجل كل ليلة إلى بيته وهو لا يستحق أن يركب إلا حمارًا.**

وانفجر الرجال بالعربة ضاحكين فانتظر السيد حتى عادوا إلى السكون ثم قال يجيبه:

- **أما سمعت بماذا أجابته نفسه؟.. قالت إذا لم توصله أنت فسيركب البك صاحبنا.**

وضج الرجال ضاحكين مرة أخرى. ثم قال صاحب العربة:

- **فلنؤجل الباقي إلى سهرة الغد.**[١٣٢]

وينتمي أدب نجيب محفوظ إلى المدرسة الواقعية؛ لأن أحداث رواياته تحاكي الواقع، لذلك نراه يستخدم اللغة الواقعية في أدبه، وواقعية اللغة تعني: "ملاءمتها للشخصيات، فهي الواقعية النفسية والفعلية والعاطفية، فلا يتحدث أُمي بأفكار الفلاسفة مثلًا"[١٣٣].

- **هل كان "السيد أحمد عبد الجواد" شخصين منفصلين في شخصية واحدة؟!.**

رغم إيمان "السيد أحمد" القوي بالله إلا أنه فتح صدره لمسرات الحياة ولذائذها، يهش للمأكل الفاخر، ويطرب للشراب المعتق، ويهيم بالوجه القصيم، فينهل منها جميعًا في فرح وبهجة وولع، غير مثقل الضمير بإحساس خطيئة أو وسواس قلق، فهو يمارس حقًا منحته إياه الحياة، وكأنما لا تعارض بين حق الحياة على قلبه وحق الله على ضميره، "**فلم يشعر في ساعة من حياته بأنه بعيد عن الله أو عرضة لنقمته، وأخاه في السلام.**[١٣٤]. وهنا ثمة سؤال يطرح تفسه: هل رسمَّ نجيب محفوظ شخصين منفصلين في شخصية واحدة؟!.

قبل الإجابة على هذا السؤال يعرض الباحث رأي لاجوس آجرى في كيفية دراسة الشخصية الدرامية؛ حيث يقول: إنه ليس يكفي وأنت تدرس شخصًا ما أن تعرف هل هو فظ خشن، أو مؤدب دمث، أو ورع متدين، أو ملحد منكر لوجود الله، أو رجل ذو خلق أو انسان ساقط لا خلق له. بل يجب أن تعرف الذى صيره هكذا، ولماذا لا تنفك أخلاقه تتغير، ولماذا يجب أن تتغير أخلاقه سواء رغب في ذاك أو لم يرغب"[١٣٥]، وبعد ما قدمه الباحث في السطور السابقة – من دراسة تحليلية للبناء الدرامي لشخصية السيد أحمد عبد الجواد – توصل الباحث إلى أن نجيب محفوظ رسم شخصية واحدة فقط "للسيد أحمد عبد الجواد"، بل هي شخصية مرسومة رسمًا دقيقًا، جاءت تصرفاتها متسقة مع مقوماتها الدرامية الثلاثة _ المادية، الاجتماعية، النفسية – غير أن "السيد أحمد" كان يعيش الحياة بقلبه وإحساسه دون ثمة تفكير أو تأمل، ووجد بنفسه غرائز قوية، يطمح بعضها لله فراضها بالعبادة، ويتحفز بعضها الآخر للذات فأرواها باللهو، وخلطها بنفسه جميعًا آمنا مطمئنًا دون أن يشق على نفسه بالتوفيق بينها،

---

[١٣٢] – نجيب محفوظ، مصدر سابق ، ص١٢.

[١٣٣]– محمد مندور: في الأدب والنقد، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت، ص ص ١٥٥–١٥٦.

[١٣٤] – نجيب محفوظ، مصدر سابق ، ص ص٥٢–٥٣.

[١٣٥]– لاجوس اجرى: فن كتابة المسرحية، ترجمة: دريني خشبة، الكويت، دار سعاد الصباح، د.ت، ص ١٠١ .

خلاصة القول أنه ""**كان يؤمن بالسماحة الإلهية بحيث لا يصدق بأنها تحرم هاتيك المسرات حقًا؟!. وحتى في حال تحريمها فهي حرية بأن تعفو عن المذنبين ما لم يؤذوا أحدا**"[١٣٦]. إن نجيب محفوظ بنى شخصية السيد بناءًا محكمًا؛ فجاءت أفعاله متوافقة مع مقومات شخصيته، ولم تتناقض أفعاله في أي موقف من أحداث الرواية، وهذا يُعد من أهم شروط بناء الشخصية الدرامية الجيد؛ وعن بناء الشخصية الدرامية ينصح الشاعر اليونانى (٦٥ – ٨ قبل الميلاد) المؤلفين بقوله: "**إذا جرؤتم وقدمتم للمسرح شخصية جديدة تمامًا، فلتكن في النهاية كما بينتموها في البداية، وعليها أيضًا ألا تناقض نفسها في أية نقطة**"[١٣٧]

نتائج البحث:

- نجح نجيب محفوظ أن يبني شخصية السيد أحمد عبد الجواد (سي السيد) بناءًا دراميًا محكمًا.
- شخصية السيد هي الشخصية المحورية التي صنعت أحداث رواية بين القصرين.
- بنى نجيب محفوظ العلاقة بين بين السيد أحمد عبد الجواد وأبنائه بناءًا دراميًا محكمًا.
- لعب العاملان "المادي" و"الاجتماعي" دوران كبيران في البناء الدرامي لشخصية السيد أحمد عبد الجواد.
- نجيب محفوظ رسم شخصية واحدة فقط "للسيد أحمد"، ولم يرسم شخصيتين متناقضتين له.
- سلوك السيد أحمد في بيته ومع أسرته اتسم بالوقار، الجدية، الحزم، الصرامة، التزمت، التجهم الدائم. أما في خارج بيته فسلوكه مختلف تمامًا عن سلوكه في داخل بيته.
- بالرغم من أن السيد أحمد أباح لنفسه ممارسة الفحشاء مع بائعات الهوى، إلا أنه كان يحرص كل الحرص على تربية أبنائه على الفضيلة والعفة.
- بالرغم من قسوة السيد أحمد مع أبنائه وتطرفه الشديد في تربيتهم إلا أنه كان يضمر لهم حبًا كبيرًا داخل قلبه.
- لم يسمح السيد لابنتيه وزوجته أمينة بالخروج من البيت مطلقًا، أو حتى مجرد فتح شرفة المنزل.
- كان السيد أحمد عبد الجواد يرفض رفضًا قاطعًا أن يرى أي رجل احدى ابنتيه أو زوجته رؤيا العين، ويُعد هذا جريمة كبيرة تستحق العقاب الشديد.
- اتسمت شخصية السيد أحمد بالغيرة الشديدة التي تخطت حدود المألوف.
- رغم المعاملة الصارمة للسيد لأبنائه إلا أنهم كانوا يحترمونه ويحبونه حباً شديداً.
- السيد أحمد عبد الجواد كان يحب زوجته أمينة ويقدر قيمتها في حياته.

---

[١٣٦] – نجيب محفوظ، مصدر سابق ، ص ص٥٢–٥٣.

[١٣٧]– أوديت آصلان: فن المسرح (ج١)، ترجمة: سامية أسعد، نيويورك، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر،١٩٧٠، ص١٦٧.

- أحبت أمينة السيد أحمد حباً كبيراً رغم معاملة القاسية معها.
- بنى نجيب محفوظ شخصية "هنية" – زوجة السيد الأولى وأم ابنه ياسين – بناءًا يدعم بناء شخصية السيد؛ ويبرهن على أن مقومات شخصية السيد أحمد – المادية والاجتماعية والنفسية – مقومات راسخة وثابتة.
- رجل بسمات شخصية السيد أحمد عبد الجواد كان من الصعب أن تستقيم حياته إلا مع زوجة مقوماتها الشخصية مثل مقومات أمينة.
- رغم عشق السيد للغناء والرقص إلا أنه كان يحاول ألا يفقد كامل هيبته عندما كان يرقص.
- رغم أن السيد كان يعاقر الخمر ويزني ويرتكب الموبقات كل ليلة إلا أنه كان يحافظ على تأدية فروض الصلاة بشكل منتظم، بل يُؤديها بخشوع تام، وكأنه ولي من أولياء الله الصالحين.
- لم يكن السيد مرهوبًا مخوفًا إلا بين أهله، أما بين سائر الناس من أصدقاء ومعارف وعملاء فهو شخص آخر، له حظه الموفور من المهابة والاحترام، ولكنه شخصية محبوبة قبل كل شيء.
- رغم عشق السيد أحمد عبد الجواد للنساء، إلا أنه لم يعتد على عرض أو كرامة قط؛ وخاصة نساء حارته أو نساء جيرانه أو زوجات أصدقائه، بل لا يبيح لنفسه النظر إلى أي امرأة إلا إذا كانت من الغانيات فقط.
- لم يكن السيد أحمد مغرما بالمرأة بلا قيد ولا شرط، فقد امتازت شهوته دائمًا بالرفاهية؛ فكما كان يعشق الجمال مجردًا كان يعشقه كذلك في هالاته الاجتماعية الكبيرة.
- نجيب محفوظ لم يرِد أن يروي عطش بطل روايته للنساء عن طريق الزواج المتكرر مثل أبيه، حتى يتمكن من بناء شخصية "السيد أحمد" بناءًا دراميًا محكمًا.
- لا يؤمن السيد أحمد بحرية المرأة، ولا بمساواتها بالرجل، ولا بعملها خارج بيتها، بل يرفض خروجها من بيت زوجها من الأساس، كما يؤمن بضرورة طاعة المرأة لزوجها طاعة عمياء.
- يرى السيد أحمد أن للرجل كل الحقوق، حتى لو ارتكب الموبقات، ولا يحق للمرأة أن تحاسبه على أي فعل يفعله.
- جمعت حياة "السيد أحمد" شتى المتناقضات التي تراوح بين العبادة والفساد، وحازت جميعًا رضاه على تناقضها.
- نجيب محفوظ نفسه انتقد تصرفات هذه الشخصية التي بناها هو بنفسه، ورأى أنها شخصية متطرفة، وكان يُدرك وهو يبني هذه الشخصية أنه يبني شخصية شاذة – إلى حد ما – عن شخصيات المجتمع السائد وقتذاك.

المصادر والمراجع:

المصادر: نجيب محفوظ: بين القصرين، القاهرة، دار الشروق الأولى، ط١٥، ٢٠١٩م.

المراجع العربية:

١- إبراهيم حمادة: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، القاهرة، دار المعارف،١٩٨٥، رقم المصطلح ٨٠.

٢- أحمد عبد الخالق: استخبارلت الشخصية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩.

٣- أحمد عبدالعزيز: نحو نظرية جديدة للأدب المقارن، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٢.

٤- توفيق الحكيم: أدب الحياة، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٩,

٥- رشاد رشدي: فن كتابة المسرحية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.

٦- رضا بن صالح، وقيس الهمامي: المسرح العربي بين التجريب والتغريب.. قراءة في مسرح سعد الله ونوس، تونس، المغاربية للطبع والنشر، ٢٠٠٨.

٧- سيزا قاسم: بناء الرواية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.

٨- شكرى عبدالوهاب: النص المسرح، القاهرة، دار فلور للنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠٠١م.

٩- عبد الرحمن سيد سليمان: مناهج البحث، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠١٤م.

١٠- عبد الله خمار: تقنيات الدراسة في الرواية، الجزائر، دار الكتاب العربي، ١٩٩٩.

١١- عبد العزيز حمودة: البناء الدرامي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.

١٢- عبد القادر القط: من فنون الأدب.. المسرحية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٨.

١٣- عبد الرحمن الوافي: مدخل إلى علم النفس، القاهرة، دار هومة، ٢٠٠٧م.

١٤- عبد المجيد شكري: فنون المسرح والاتصال الإعلامي، القاهرة، دار الفكر العربي للطبع والنشر، ٢٠١١م.

١٥- علي أحمد باكثير: فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية، القاهرة، مكتبة الأسكندرية، د.ت.

١٦- عمار علي حسن: النص والسلطة والمجتمع، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١١م.

١٧- فاطمة موسى محمود: قاموس المسرح .. الجزء الثانى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨.

١٨- فؤاد الصالحي: علم المسرحية وفن كتابتها، طرابلس، تالة للطباعة والنشر، ٢٠٠١.

١٩- فرحان بلبل: النص المسرحي.. الكلمة والفعل، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٣.

٢٠- ماري إلياس وحنان قصاب: المعجم المسرحي.. مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٧.

٢١- محمد الغنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، القاهرة، نهضة مصر للنشر والتوزيع، ١٩٩٦.

٢٢- محمد بن عبد الرزاق الحسيني، وأبو الفيض – الملقب بمرتضي، الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، القاهرة، دار المعارف. د.ت.

٢٣- مجيد حميد الجبوري: البنية الداخلية للمسرحية .. دراسات في الحبكة المسرحية، لبنان، دار نشر ضفاف، ٢٠١٣.

٢٤- محمد رضا، حسين رامز، الدراما بين النظرية والتطبيق، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٢.

٢٥- محمد شبل الكومى: مبادئ النقد الأدبى والفنى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧.

٢٦- محمد مندور: الأدب وفنونه.القاهرة، نهضة مصر للنشر والطباعة، ٢٠٠٦، ط٥.

٢٧- محمد مندور: في الأدب والنقد، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت.

٢٨- مصطفى سويف: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥١م.

٢٩- نصر محمود عباس: فن الدراما المسرحية.. رؤية تاريخية نقدية، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١١.

المراجع المترجمة:

١- أرسطو: فن الشعر، ترجمة : إبراهيم خمادة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.

٢- أوديت آصلان: فن المسرح (ج١)، ترجمة: سامية أحمد أسعد، نيويورك، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٧٠.

٣- آرثر آسا بيرغر: وسائل الإعلام والمجتمع، ترجمة: صالح أبو إصبع، الكويت،عالم المعرفة، مارس ٢٠١٢.

٤- باتريس بافي: معجم المسرح، ترجمة: ميشال خطَّار، بيروت، المنظمة العربية للترجمة. د.ت.

٥- لاجوس اجرى : فن كتابة المسرحية، ترجمة: دريني خشبة، الكويت، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢م.

٦- كير إيلام: سيمياء المسرح والدراما، ترجمة: رئيف كرم ، لبنان، المركز الثقافي العربى ، ١٩٩٢.

٧- مارى كارمن بوبيس: سيمولوجيا المسرح ، ترجمة:أحمد عبدالعزيز، القاهرة، دار النصر للتوزيع والنشر، ٢٠٠٤.

السلاسل والدوريات والدراسات:

١- علي الراعي: فن المسرحية، القاهرة، سلسلة كتب للجميع، دار التحرير للطبع والنشر.

٢- محمد محمد عنانى: التركيب والتحليل في المسرح المصرى، مجلة المسرح، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، هيئة الإذاعة والمسرح والموسيقى، ع١٠، أكتوبر، ١٩٦٤.

٣- نبيل فرج: آراء الحكيم في الآدب والفن ، القاهرة، مجلة القاهرة، ع٧٥، ١٩٨٧م.

٤- نشأت مارك صليتوا: الشخصية في النص المسرحي، العراق، رسالة أكاديمية، مدينة نينوي، ١٩٩٠

المواقع الإليكترونية:

1-wikipedia.org/wiki